

الإسلام والغرب



الأستاذ الدكتور

عبد الودود شلبي

مَكْتَبَةُ الْأَكْبَابِ

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ١٠٠٨٦٨ ٢٩٠٠

الإسلام والغرب

خواطر .. وتجارب .. وذكريات

الأستاذ الدكتور

عبد الودود شلبي

الناشر

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت: ٣٩٠٠٨٦٨

الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
مكتبة الآداب (على حسن)

لماذا يخافون الإسلام؟!

قراءة في صحف الغوب

فى عام ١٩٧٨ نشرت صحيفة الصنداي تلغراف اللندنية THE SUNDAY TELEGRAPH مقالا^(١) تحت عنوان: مواجهة الخطر الإسلامى (MEETING THE ISLAMIC THREAT)، وفى هذا المقال دعت الصحيفة أوروبا وأمريكا إلى الإسراع باتخاذ الإجراءات الفعالة وفى مقدمتها - السلاح وإعلان الحرب طبعاً - لإيقاف هذا المد الإسلامى قبل أن يستفحل خطره ويهدد شعوب الغرب^(٢)! لقد تصوروا الكنائس بعد أن خلعت صليبانها ليوضع فوقها الهلال! كما تصوروا مذابيح^(٣) هذه الكنائس بعد أن تحولت إلى «قبة» فى اتجاه مكة إلى جهة الشرق، كما تصوروا الإبل ورُغاءها يجلجلج فى ركن الخطباء بحديقة «هايد بارك» (HYED PARK)

أما فى ألمانيا الغربية .. فقد نشرت مجلة «دير شبيجل» الشهيرة سلسلة من المقالات تحت عنوان «القرآن وحده هو الذى

(١) العدد الصادر فى ١٧ / ١٢ / ١٩٧٨م

(٢) أى قبل أحداث الحادى عشر من سبتمبر بأربع وعشرين سنة.

(٣) مذبح الكنيسة: أشبه بالقبة فى المسجد.

يقود»، وقد حذرت هذه المجلة من الصحوة الإسلامية التي لو قُدِّرَ لها النجاح فسوف لا تقف في طريقها أية قوة بعد ذلك في العالم^(١)!

وفي ألمانيا الغربية أيضاً كتبت صحيفة «BONNER SONN-TAGS BIATT» في عددها الصادر في اليوم الرابع والعشرين من شهر أغسطس ١٩٨٠م هذا المقال الذى طُفِحَ حقداً وكرهية:

«إن المواطنين خائفون... خائفون من المسلمين... وهؤلاء المواطنون الفرعون تتمثل أمامهم صورة إيران التي يقرأون عنها يومياً أخباراً جديدة تثير في نفوسهم الذعر.

ويرى أحد علماء الطبيعة أنه أحب لديه أن يُبنى مفاعل ذرى أمام باب منزله من أن يُبنى مركز إسلامى، وذلك لأن المفاعل الذرى يمكن أن يُحسَبَ حسابه؛ وهو يعنى بذلك فى المقابل أن المرء لا يستطيع أن يتنبأ بما يأتى من أخطار من جانب المسلمين؟!!

ومنذ عدة سنوات تنشر الصحافة الألمانية اتهامات قاسية ضد المدارس القرآنية، تلك المدارس التى تنشر - كما يزعمون - التعصب الدينى الذى يؤدي بدوره إلى التحريض ضد كل من يكون له تفكير مختلف، ولا يقتصر الأمر على الجهل التام بالتعاليم الأساسية للإسلام فحسب، بل نجد أيضاً - كما يعترف الجانب الكاثوليكي - أن مستوى معلومات المسيحيين الألمان عن «القيم والعادات الدينية والعادات الحياتية فى العالم الإسلامى

(١) العدد ٤١ الصادر يوم ٣/١٠/١٩٧٧.

ضعيف جداً»، ولذلك تأخذ الجماهير بدون أى نقد الأمثلة المزعومة لأسلوب الحياة وطريقة التفكير الإسلامية، والتي تنشرها الصحف فى أخبار الفضائح المصطنعة، وأحد الأمثلة على هذه الأخبار هو المدارس القرآنية، وفيما يلى بعض النماذج من عناوين مثل هذه المقالات: «التلاميذ يُضربون فى المدارس القرآنية».

- «مخيم المدارس القرآنية يجوز قتلهم».

- «الحركات السرية لله فى ألمانيا».

- «بالقرآن والهراوات الحرب الصليبية تقودها المراكز الإسلامية فى ألمانيا الغربية».

ولم تتخلف الصحف الفرنسية عن المشاركة فى هذه الحملة؛ فقد نشرت صحيفة لوموند «LE MONDE» سلسلة من المقالات المثيرة تحت عنوان «ألف مليون مسلم يستعدون للموت فى سبيل الله»! وأن على الغرب أن يستعد - من اليوم - قبل أن يُفاجأ بعاصفة إسلامية تدمر فى طريقها كل شىء...!!

هذا الرعب الذى يملك أوروبا، ومعها أمريكا، هل يوجد ما يبرره فى الواقع؟ وهل يملك المسلمون القوة وأسلحة الدمار الشامل؟ أم أنها مغالطة كذلك المغالطات التى تَفَنَّت أوروبا وأمريكا فى إشاعتها وإطلاقها من وقت إلى آخر؟ أم أن الغاية من هذه المغالطات والأكاذيب تخويف الشعوب من الإسلام والمسلمين؛ حتى لا يتأثروا بهذا الدين الذى بدأ يفرض وجوده فى

بلاد الغرب، وبدأ الناس يدخلون فيه أفواجاً وأفراداً إيماناً بأنه الدين الحق؟!!

هذه الأسئلة وغيرها تجد إجابتها فيما يلي من حلقات هذا البحث.

* * *

جذور الكراهية

يقول الأستاذ محمد أسد^(١):

«إن الحروب الصليبية هي التي حددت - في المقام الأول، والمقام الأهم - موقف أوروبا من الإسلام؛ لقد كانت الحروب الصليبية حاسمة؛ لأنها حدثت في أثناء طفولة أوروبا، في العهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تفرض نفسها، وكانت ولا تزال في طور تشكّلها. وإن الحمية الجاهلية العامة التي آثارتها تلك الحروب لا يمكن أن تقارَن بشيء خبّرته أوروبا من قبل، ولا اتَّفَقَ لها من قبل... لقد اجتاحت القارة كلّها موجةً من القسوة كانت عنفوانًا تَحْطِي الحدود التي بين البلدان وبين الشعوب، ولقد اتفق في ذلك الحين - وللمرة الأولى في التاريخ - أن أوروبا أدركت في نفسها وحدةً، ولكنها وحدة في وجه العالم الإسلامي. ويمكننا أن نقول من غير مبالغة: إن أوروبا وكّدت من روح الحروب الصليبية.. وقد وكّدت في أثناء الحروب الصليبية فكرة المدينة الغربية، وكانت تلك المدينة الغربية

(١) محمد أسد: اسمه الأصلي «ليوبولد فايسش» كان يهوديًا ثم أسلم. وقد اشتغل في عدة أقطار إسلامية منها: السعودية وباكستان. وهذه الفقرات نقلها من كتابه «الإسلام على مفترق الطرق» فصل: شبح الحروب الصليبية ص ٥٠ - ٦٠ الطبعة الرابعة.

عداوة للإسلام، ولقد كان في الجانب الإسلامي دائماً رغبةً مخلصه للتسامح، ولكنه لم يَلْقَ أبداً المعاملة بالمثل.

ويقول مالك بن نبي^(١):

«... إن أوروبا التي جعلت نفسها المشرفَ الوحيد على الجنس البشرى لم تعترف - منذ كانت مدنيّتها لا تزال في المهد، ترضع اللبن العربي - بأية مدنية إسلامية، وكما يقول جوستاف لوبون - معللاً السبب الذي يدفع علماء أوروبا إلى إنكار هذا الجميل برغم أنهم يجب أن يتعدوا عن التعصب - يقول:

«الواقع أن استقلال الرأي ظاهريٌّ أكثر منه حقيقيٌّ، وذلك لأننا لسنا أحراراً قط في تفكيرنا حول بعض المعلومات. فقد استمر التعصب الذي ورثناه ضد الإسلام وزعمائه خلال قرون عديدة حتى أصبح جزءاً من تركيبنا العضوي»^(٢).

إن النصرانية على حد قول الكاتب العالمي «حيدر يامات»^(٣) لا تزال تواجه الإسلام بحقد وازدراء يمليه عليها التعصب. ويتجلى هذا على وجوه كثيرة، ومنها ما نرى في الفقه الدولي، أو القانون الدولي العام الذي لا يُعاملُ الأمم الإسلامية معاملةً مساويةً للأمم النصرانية.

(١) من كبار المفكرين المسلمين في الجزائر وقد تثقف ثقافة فرنسية. وتوفي في عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م بعد أن اختير عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف. ومن أهم كتبه: الظاهرة القرآنية.

(٢) مستقبل الإسلام. مالك بن نبي، ص ٢٩، طبعة بيروت.

(٣) مجالى الإسلام. ص ٥٠٠. مطبعة الحلبي - القاهرة.

ومنذ نشأة القانونى الدولى الحديث كان من المقطوع به اعتبار الإسلام خارج العلاقات الدولية، وعدم الاعتراف بتمتع الشعوب الإسلامية بالحقوق التى يقرها هذا القانون. وعلى هذا الأساس لم يكن الفقهاء الأوروبيون راغبين فى اعتبار الدولة العثمانية جزءاً من الجماعة الدولية. ف «جروسيوس» أبو القانون الدولى قال بوجود عدم معاملة الشعوب غير المسيحية على قدم المساواة مع الشعوب المسيحية.

و«جنتيلس» هاجم فرنسواه الأول ملك فرنسا لعقده معاهدة مع السلطان سليم العثمانى فى عام ١٥٣٥م. ومع أن هذه المعاهدة أقامت سلاماً بين الدولتين مدة حياة الملكين، ومع أنها أعفت الرعايا الفرنسيين من دفع الجزية التى كانت مقررة على غير المسلمين إذا ما أقاموا فى دار الإسلام، فقد كانت هذه المعاهدة مرفوضة؛ لأنها مع ملك أمة غير مؤمنة^(١)!!

كان الكونت «هنرى دى كاسترى» من كبار الموظفين بالجزائر، برغم سنه المبكرة، وكان يسير ممتطياً صهوة جواده، ويسير خلفه ثلاثون من فرسان العرب الأقوياء، فخوراً بمركزه، وكان يملؤه الغرور، للمدح الذى يزجيه إليه هؤلاء الذين تحت إمرته.

(١) انظر فى هذا الموضوع «المجتمعات الدولية الإقليمية» تأليف الدكتور حافظ غانم. فصل: «العائلة الدولية كانت تستبعد دار الإسلام من حظيرتها»، وكتاب «كفاح دين» تأليف المفكر الإسلامى الشيخ محمد الغزالى ص ١١٢ - ١١٣ الطبعة الرابعة.

وفجأة وجدهم يقولون له، فى شيء من الخشونة، وفى كثير من الاعتداه بالنفس:

«لقد حان موعد صلاة العصر» ..

ودون أن يستأذنه فى الوقوف، ترجلوا واصطفوا للصلاة متجهين إلى القبلة، ودوت فى أرجاء الصحراء كلمة الإسلام الخالدة:

«الله أكبر ..»

شعر الكونت فى هذه اللحظة بشيء من المهانة فى نفسه، وبكثير من الإكبار والإعجاب لهؤلاء الذين لا يبالون به، ذلك لأنهم اتجهوا إلى الله وحده، بكل كيانههم، وبدأ يتساءل: ما الإسلام؟ أهو ذلك الدين الذى تصوّره الكنيسة فى صورة بشعة تنفر منها النفس، ولا يطمئن إليها الوجدان ..؟

وبدا يدرس الإسلام، وتغيرت فكرته عنه، ورأى من واجبه أن يعلن ما اهتدى إليه، فكان كتاب: «الإسلام خواطر وسوانح»^(١).

وفى هذا الكتاب الطريف تحدث عن كثير من جوانب الإسلام، سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالرسول ﷺ، أم فيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية، وقد تحدث - فضلاً عن ذلك - عن آراء مواطنيه، خصوصاً القدماء منهم فى صورة السخرية والتهكم.

(١) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية المستشار أحمد فتحى زغلول شقيق الزعيم المصرى سعد زغلول، وقد ظهرت هذه الطبعة فى العشرينات من القرن الماضى.

ومن المستغربات قولهم: إن محمداً - الذى هو عدو الأصنام
ومبيد الأوثان - كان يدعو الناس لعبادته فى صورة وثْنٍ من
ذهب، كما كان يعتقد: «الكرلوفنجيون»!!

بل لقد أغرق خيالهم فى الضلال، فذهبوا إلى أبعد من
ذلك... فذهبوا إلى أن صورة «ماهومده»^(١) كانت تُصنع من
أنفس الأحجار والمعادن بأحكام صُنْعٍ وأدقِّ إتقان!!!.

«أولئك كتاب ما قصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد
المسيحى الحكيم كما يقولون، وكان سلاحهم الوحيد فى تأييد
سواقط حججهم، أن يشبعوا خصمهم سباً وشتماً، وأن يُحرِّفوا
فى النقل مهما استطاعوا». وهذه أكبر جناية ضد الحقيقة
والتاريخ، ولا يُعقل أن يُنسب هؤلاء إلى المؤرخين أو المحققين.!

إن الجَهِل أبو المصائب، بل هو السبب الأول للكراهية
والتعصب، بل يقول أحد المؤرخين - أظنه «جوستاف لوبون» -:
إن الجَهِل كان فى مقدمة الأسباب للحروب الصليبية التى أكلت
اليابس والأخضر، وراح ضحيتها الملايين من البشر على مدى
أكثر من قرنين من الزمن.



فى مدرسة «ستوديو سكول أوف إنجليش» STODIO
SCHOOL OF ENGLISH فى مدينة «كمبردج» جلست بجوارى

(١) المقصود «محمداً» ﷺ.

امراة إيطالية في منتصف العمر، كان اسمها «إلزا» وتعمل
سكرتيرة في إحدى السفارات المعتمدة في مدينة لندن.

لقد فوجئت بهذه السيدة تسألني هذا السؤال: هل أنت
كاثوليكي؟

اجبتها وأنا أبسم: لا.. فأنا مسلم. وهنا كانت المفاجأة
الكبرى سؤالها: مسلم كاثوليكي أم مسلم بروتستانتي؟!

طلبت الانتظار حتى ينتهي الدرس، وفي «الكافيتريا» المخصصة
للراحة وتناول الشاي والقهوة دارَ بيني وبينها حوار عن الفرق بين
الإسلام والمسيحية من جهة، وبين «الكثلكة» و«البروتستانتية» من
جهة أخرى!

إن السيدة «إلزا» لم تسمع شيئاً طوال حياتها عن «مارتن لوتر»
ولا عن المبادئ التسعة والخمسين التي ألصقها على أبواب كنيسة
«ويتنبرج»، بل لم تكن تعرف عن «الكاثوليكية» شيئاً غير كنيسة
القديس بطرس والبابا «بولس السادس»^(١) فإذا كانت لا تعرف
أبسط مبادئ دينها، فهل يُتَظَر منها أن تعرف شيئاً عن الإسلام
والمسلمين في هذه الدنيا؟!!

لقد اتقنت الكنيسة فنَّ النظام؛ فلا ارتجال فيها، كل شيء فيها
مُعَدُّ مرتب منسَّق، قد بُحِث عن رُويَةٍ، وأُعِدَّ إعداداً تاماً^(٢).

(١) هذا في عام ١٩٦٩ م.

(٢) انظر: أوروبا والإسلام. د. عبد الحليم محمود. ص ٤١.

وكان مما أعدته مشروعات كبيران؛ أحدهما للتبشير، والثاني لصد الهجوم عن الديانة المسيحية.

أما فيما يتعلق بالتبشير؛ فإنه من الأوليات عندها أن يعرف المبعوث لغة المُرسَل إليهم، ويدرس عاداتهم وتقاليدهم، وديانتهم ومواطن الضعف فيهم، والوسائل التي تجذبهم، وأن يعلم - فضلاً عن ذلك - بعض مبادئ الطب، ويعلم قبل ذلك ويعده كيفية الهجوم على الديانة المتوطنة، وكيفية الدعوة لديانته.

أما المشروع الآخر - وهو الذي يعنينا هنا - فهو على الخصوص يتركز في دراسة مستمرة متجددة في أحدث الوسائل لتشويه ديانات الآخرين.

وما نُشر من أضاليل عن الإسلام، لا يُحصَر ولا يُعدُّ إنها أضاليل تُنشر متابعة متكررة، تتردد في صور مختلفة، وينتهي بها التكرار والترديد إلى إيمان من تُنشر عليهم بها، وتبلغ بهم الصفاقة إلى حدٍّ أن يعكسوا الحقائق عكساً تاماً؛ فالدين الإسلامي مثلاً - وهو دين التوحيد الخالص، ودين التنزيه التام - يشيعون عنه أنه دين عبادة الأوثان . . وعبادة محمد^(١).

ويكررون ذلك في مختلف الأمكنة والأزمنة، وينتهي المسيحيون بالاعتقاد بأن هذا الدين إنما هو دين عبادة الأوثان.

وهكذا تمضي الدعاية تضليلاً، وتشويهاً وعكساً للحقائق.

(١) الدعوة الإسلامية ومشكلاتها في بلاد الغرب. د. عبد الودود شلبى.

مكتبة الولاية - القاهرة.

ومن أهم الوسائل أيضاً لتحسين المسيحية ما يسمونه «نظام
الحرمان من الدين المسيحي»، وهو نظام يسهل على الكنيسة
بمقتضاه أن تُحرّم قراءة أى كتاب ترى فيه خطراً على المسيحية؛
سواء كان هذا الكتاب هجوماً عنيقاً على المسيحية، أم دعايةً بارعة
للإسلام، أو حتى نَمَطاً ممتازاً من الدعاية القوية لسعة الأفق
وتحرير الفكر.

وقد استعملت الكنيسة هذا الحق في شأن كثير من الكتب
الممتازة، واستعملت هذا الحق أيضاً في شأن كثير من الكتاب،
وكان موقفها من كل كاتب لا يمكنها أن تستولى عليه، بوسيلة
الرغبة أو بوسيلة الرهبة، أن تُحرّم قراءة كتبه، وأن تحرمه من
دخول جنة ربه. !!!

ونحن المسلمين ... عندنا الإمكانيات، وعندنا الرجال،
ونستطيع لو اتفقنا على استراتيجية موحدة أن نقضى على هذا
الزيف في مهده، وأن نرفع عن أعين «الغرب» تلك العشاوة التي
لا تزال تُعشّش في عقله وقلبه !!!

* * *

كيف قامت الحروب الصليبية؟

فى مدينة «كليرمونت فيران» بفرنسا فى عام ١٠٩٥ ميلادية ..
وقف البابا الدموى السفاح «أوربانوس الثانى» يخطب فى جموع
البحوش والقتلة قائلاً:

«أيها الجند المسيحيون!! لقد كنتم تحاولون من غير جدوى إثارة
نيران الفتن والحروب فيما بينكم .. أفيقوا ..! فقد وجدتم اليوم
داعياً حقيقياً إليها .. فاذهبوا الآن .. وأزعجوا البرابرة ..
اذهبوا وخلّصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار أى المسلمين!!!

أيها الجند .. أنتم الذين كانوا صلع الشرور والفتن ... ألا
هَبُوا ... وقدموا قواكم وسواعدكم ثمناً لإيمانكم .. هذا هو
الوقت الذى تبرهنون فيه أن فيكم قوة وعزماً وبطشاً وشجاعةً
... وإذا كان من المحتم أن تثاروا لأنفسكم، فاذهبوا واغسلوا
أيديكم بدماء أولئك المسلمين الكفار ...!!!

واذكروا جيداً قول المسيح: «ليس منى من يحب أباه وأمه أكثر
من محبته إياى ..» أما الذى يترك بيته ووطنه، وأمه وأباه وزوجه
وأولاده وممتلكاته، فسيخلد فى النعيم، وسيجزيه الله الجزاء
الأوفى ..

إنكم إن انتصرتُم على عدوكم كانت لكم ممالك الشرق
ميراثاً .. وإن أنتم خذلتُم فستموتون حيث مات اليسوع!!!.

إنها - أى هذه الحرب - ليست لامتلاك مدينة واحدة، بل هى لامتلاك أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزائنها التى لا تُحصى ...!! فاتخذوا حجة بيت المقدس وخلّصوا الأراضى المقدسة وامتلكوها أنتم خالصة لكم من دون أولئك الكفار .. فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبناً وعسلاً^(١) ...!



تُرى هل تغيرَ شيء منذ ذلك التاريخ وحتى هذا اليوم؟
الم يتحول حلف «التاتو» أو حلف شمال الأطلسى إلى حلف لمواجهة الإسلام على امتداد ساحة العالم فى الشرق والغرب؟
يقول «أيرجين وريستو» رئيس قسم التخطيط فى وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية الأمريكية، ومستشار الرئيس جونسون لشئون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م .. يقول:

«يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هى خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية^(٢). لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه

(١) صلاح الدين الأيوبي - د. أحمد بيلي.

(٢) انظر فى هذا الموضوع كتاب «صراع الحضارات» الذى كتبه «صمويل هينجتون» لتري أن ما يقع الآن من أحداث إنما هو تطبيق عملى لهذه النظرية الجهنمية.!

اللحظة، بصورة مختلفة . . . ومنذ قرن ونصف خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى .

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى؛ فلسفته، وعقيدته، ونظامه . . . وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة فى الدين الإسلامى، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام، وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها^(١) . . . !!!

على أن هذا وحده لا يكفى لإظهار ما يكتنه الأوروبيون نحو الإسلام خاصة . . . وهنا وهنا فقط، يعنى فيما يتعلق بالإسلام، لا نجد الموقف الأوروبى موقف كره فى غير مبالاة فحسب، كما هو الحال فى موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل كرهًا عميق الجذور، يقوم فى الأكثر على جذور من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليًا فحسب، ولكنه يصطبغ أيضًا بصبغة عاطفية قوية . !

قد لا تتقبل أوروبا تعاليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائمًا فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلى متزن ومبنى على التفكير . . . إلا أنها حاليًا تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفى فى الترسب . . .

(١) المؤامرة ومعرفة المصير - صفحات ٨٧ - ٩٤ . المرحوم سعد جمعة رئيس وزراء الأردن السابق - القاهرة: «المختار الإسلامى» .

حتى أن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمى فى كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر فى جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث فى البحث العلمى^(١)، بل على أنه متهم يقف أمام قضائه . . !

إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعى العام الذى يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامى فى الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصياً بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له مع شيء من الفتور (اعتبار الأسباب المخففة)!!

وعلى الجملة، فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التى يتبعها أكثر المستشرقين نذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، تلك الدواوين التى أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها فى العصور الوسطى؛ أى أن تلك الطريقة التى لم يتفق لها أبداً أن نظرت فى القرائن التاريخية بتجرد، ولكنها كانت فى كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل، قد أملاه عليها تعصبها لرأيها. ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذى يقصدون أن يصلوا إليه مقدماً، وإذا تعدد عليهم الاختيار العرفى للشهود، عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التى شهد بها الشهود الحاضرون ثم فصلوها عن المتن، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمية عن سوء قصد، من غير أن

(١) وهذا ما يقرأه العالم الآن فى صحف أوروبا وأمريكا . . وما تذييعه وكالات الأنباء شرقاً وغرباً.

يلتفتوا أدنى التفات إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أى من قبل المسلمين أنفسهم.

ولست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام تواجها في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا، وليس ذلك قاصراً على بلد دون آخر. إنك تجد في إنجلترا والمانيا، في روسيا وفرنسا، وفي إيطاليا وهولندا - وباختصار، في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام.



لقد عثرتُ على إحدى الوثائق المتضمنة لرسالتين متبادلتين بين «ماجلان» الرحالة البرتغالي، وبين سلطان عمان الإمام «سيف ابن سلطان الأول»، وفي هاتين الرسالتين يتضح لكل ذى عينين مدى الحقد والكراهية التي يكنها الغرب للمسلمين والإسلام، والتي لم يتغير منها شيء حتى هذا اليوم:

يقول «ماجلان» في رسالته إلى السلطان:

«إننا لا نرحم من يشكو، أو نشفق على من يبكي؛ فقد نزع الله الرحمة من قلوبنا حقاً، والويل كل الويل لأولئك الذين لا يمثلون لأوامرنا^(١).. لقد دمرونا مدنًا، وقضينا على أهلها،

(١) وهذا هو موقف الغرب من المسلمين اليوم؛ فأمريكا تعتبر أية دولة لا تخضع لها أو لا تنفذ أوامرها: دولة إرهابية يجب القضاء عليها!

وأفسدنا الأرض، فإذا قبلتم شروطنا فسيكون هذا من مصلحتكم
 أنتم لا مصلحتنا نحن، أما إذا رفضتموها وثابرتم على ظلمكم،
 فلن نمنعكم حصونكم منا، ولن نحميكم جيوشكم؛ فقد أكلتم
 ثمار الشر، وأضعتم أنفسكم تماماً . . فتمتع اليوم فيما يساورك
 من قلق؛ فإنك إنما تدفع عقوبة طفيقة لما فعلت . . . وإذا كانت
 كلماتنا غير مقبولة لدينكم، فيبدو لنا بالتأكيد أنك ظالم، وأن
 قلوبنا قُدت من حجارة، وأعدادنا كحبات الرمال، ونحن نعتبر أن
 أعدادكم الوفيرة قليلة، وقوتكم خسيصة . . إننا نحكم الدنيا^(١)
 بالتأكيد من مشرق الشمس إلى مغربها . . وقد بعثنا لكم هذه
 الرسالة، فأجيبوا عليها بسرعة قبل أن تتمزق جباهكم ولا يبقى
 منكم شيء . . وهذا لإبلاغكم بموقفنا . . .»

وفيما يلي رد الإمام «سيف بن سلطان الأول»:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
 وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

لقد طالعنا هذا الخطاب الذي يقول: إن الله انتزع الرحمة من
 قلوبكم، وتلك واحدة من أقبح أخطائكم، بل أسوأها وأبشعها
 . . وأنت تلومنا وتقول أنتم «المسلمون» كفار، ألا لعنة الله على
 الكافرين؛ فالذي بيده البذور لا تُهمُّ الفروع، إننا تحنُّ المؤمنون
 حقاً، ولن يعصمك الهرب منا . . ولن يعترينا أى شك أو

(١) وهذا ما تقوله أمريكا وتذيعه كل يوم.

(٢) سورة آل عمران: آية ٢٦.

تردد.. لقد أنزل علينا القرآن، وكان الله دائماً رحيمًا بنا .. إن خيولنا واساطيلنا ممتارة برًا وبحرًا، وعزائمننا سامية رفيعة، ومن ثم فإننا إذا صرعنك فسيكون هذا عملاً صالحاً، وإذا قتلنا فلن يكون بيننا وبين الجنة إلا لحظة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١٦٩) فرحين بما آتاهم الله من فضله ﴿ (١) .

وأنت تقول إن قلوبكم كالجبال وأعدادكم كالرمال، والجزائر لا يهتمه العدد الكبير من الخراف والماعز، والله مع الصابرين .. وهكذا فإن لدينا القوة التي نسمو على الرغبة، فإذا حينئذ فسنجيا سعداء، وإذا متنا فسنموت شهداء ﴿ألا إن حزب الله هم الغالبون﴾. لقد بلغتم أمراً تكاد السموات تنفطر منه وتنشق الأرض، وتهاوى الجبال وتتحطم.

فقل لسيدك (ويبدو أنه كان يوجه الخطاب هذا إلى مبعوث) إنه حتى إذا رصع رسالته بالجواهر، وأقام موضوعه بعناية، فإن حقيقة هذه الرسالة ليست إلا كصيرير باب أو طنين ذباب، وليس لدينا بعد ذلك ما نقوله إلا أن الجبال تمطركم وابلاً، والنار تكشف العار، والسيوف تشحذ على الأعناق. والسلام على من اتبع الهدى وخشى عذاب الجحيم، وأطاع الله مالك الملك، وفضل الأخرى على الدنيا.. والصلاة والسلام على خير الخلق.. محمد ﷺ (٢).

(١) سورة آل عمران ١٦٩، ١٧٠.

(٢) تاريخ عمان - وندل فيليبس - ترجمة محمد أمين عبد الله ص ٩٧.

ويقول الكاتب العالمى «حيدر بامبات»^(١):

«لا تزال النصرانية تواجه الإسلام بحق وازدراء ويُملِيهما التعصب عليها، ويتجلى هذا على وجوه كثيرة، ومنها ما نرى فى الفقه الدولى الذى لا يعامل الأمم الإسلامية معاملة تكون بها مساوية للأمم النصرانية.

وتعتذر الحكومات النصرانية عما تسوم به الدول الإسلامية من حملات وإهانات باستشهادها بما عليه هذه الدول الإسلامية من تأخر وتوحش، ومع ذلك فإن تلك الحكومات النصرانية هى التى تقيم العقوبات من كل وجه، حيال كل سعى إلى الإصلاح والنهضة فى بلاد الإسلام...».

عندما رُشح رئيس المحكمة العليا فى بريطانيا للتحقيق فى قضية تهريب أسلحة بريطانية إلى العراق، هبت الصحافة البريطانية ومعها مجلس العموم البريطانى لمنع ترشيح أكبر قاض بريطانى للتحقيق فى هذه القضية. أما لماذا؟ فلأن ابنتى هذا القاضى اعتنقتا الإسلام فى جامعة أكسفورد؟! فلا يستبعد أن يميل بعواطفه إلى شعب العراق المسلم حين النظر فى هذه القضية. !!!

وعندما رُشح القانونى المصرى العالمى «شريف بسيونى» لوظيفة المدعى العام فى المحكمة الجنائية الدولية لمجرمى الحرب فى «يوغوسلافيا» السابقة، اعترضت بريطانيا على هذا الترشيح. أما سبب هذا

(١) مجالى الإسلام، صفحة ٥٠٠ ترجمة عادل زعيتر، طبع عيسى البابلى

الرفض كما ذكرت ذلك «النيويورك تايمز» NEW YORK TIMES، فإن سبب هذا الرفض يعود إلى كونه مسلماً^(١)... !!



يقول المؤرخ «لبدوفيك دى كوتش» :

كان الغرب يعمل جاهداً على تأصيل بذور الكراهية والحقْد
ضد المسلمين في نفوس المسيحيين؛ يتلقونها خلقاً عن سلف،
ويرْضَعُها الطفل من شعور أمه كما يرضع اللبن من ثديها ..
فتسرى في كيانه مَرَى الدم في عروقه، وتنشأ لديه عقيدة تقضى
على العلاقة بين المسلم والمسيحي إلى الأبد^(٢)... !!



(١) وجهات نظر - العدد ٣٢ سنة ٢٠٠١ م.

(٢) وهذا ما تقوم به أمريكا اليوم. وهذا ما أعلنته جورج بوش، بعد أحداث
التنجير في نيويورك وواشنطن. حيث قال ومعه سكرتير عام حلف الأطلسي:
«إننا نخوض حرباً صليبية من نوع جديد». !!.

كيسنجر اليهودي!

في لقاء مع الدكتور «فاروق عبد الحق» أو «روبرت كرين» - وكان مشاركاً سابقاً للرئيس «نيكسون» - دار بينه وبين إحدى المجلات التي تصدر في لندن هذا الحوار:

* كيف اهتديت إلى الإسلام؟

أجاب: «في عام ١٩٨٠ وعلى أثر انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ازداد اهتمام الناس في الغرب بالإسلام، ولم يكن اهتمامهم إعجاباً به، وإنما اعتبروه تهديداً لهم، لذلك تنادى العديد من صنّاع الفكر إلى عقد الندوات والمؤتمرات حول هذا الموضوع، وقد حضرتُ أحد هذه المؤتمرات كي أرى ماهية هذه الدراسات والأطروحات المقدمة. (في خريف ١٩٨٠) وكان مشاركاً في المؤتمر الكثير من قادة الفكر الإسلامي.

* ولماذا أطلقت على نفسك اسم «فاروق عبد الحق»؟

لأنني أوّمن بالعدل والقانون، وأسمى جاهدًا لتطبيق العدل، والفاروق «عمر بن الخطاب» كان من أشهر الخلفاء المسلمين بتطبيقه العدل، وهكذا لم أجد اسمًا أكثر تعبيرًا من فاروق عبد الحق... فتسميتُ به بعد أن اشتهرتُ إسلامي!

* هل يمكن الحديث عن الهاجس الذي يسكنك والذي وجدت في الإسلام إجابة له؟

كان والذي يعمل استاذًا في جامعة هارفارد، وقد علّمني أن
أهتمّ وأدافع عمّا هو صواب، وأن أحاول تجنب الخطأ، وقد
قضيتُ معظم وقتي في التحرّي عن العدل والعدالة قبل أن أصبح
مسلمًا.

وفي الندوة التي جمعتني مع البروفسور «روجيه غارودي» في
دمشق سمعته يتحدث ويهاجم الرأسمالية منذ كان شيوعيًا. وكلانا
كان لديه نفس الهدف، وهو أن يدعم العدالة. وكلانا كان ضد
التركيز على الثروة؛ لأن الاهتمام بجمع الثروة ليس بعدل. لقد
اتّبع «غارودي» المبدأ الماركسي الذي يسعى لتحطيم الملكية مفتاحًا
للحرية. لكن كلانا يرى أن الملكية تؤدي في النهاية إلى الظلم
وعدم انتشار العدل. . . وكلانا كان يدعو إلى نظام يدعو إلى إنتاج
وإعطاء العدالة للجميع. . . لذلك وجدنا أن الإسلام هو الحل
الوحيد.

فهو الذي يحمل العدالة في مقاصد الشريعة، وفي الكليات
والجزئيات والضروريات. . . وأنا كمحام كنت أسعى إلى مبادئ
ليست من وضع البشر.

وأشير هنا إلى أن تعطيل معرفة أهداف ومقاصد الشريعة يُعتبر
أحد الأسباب المهمة لانحطاط الحضارة الإسلامية. . . فالفتاح إلى
الإسلام هو استعمال العقل، والمتابعة للوصول إلى الحقيقة. .
والحقيقة تحتوي على الهدف والمقصد، لذلك فعندما يبحث
الإنسان عن المعنى في هذا العالم، والهدف من وراء هذا المعنى. .

عندها يمكن للإنسان أن يستعمل ويخترع الحقيقة العلمية .
فعندما نعلم ما هو الهدف من كل شيء في هذا العالم نستطيع أن
نتوصل إلى المعنى العلمي لهذا الوجود .

ويمكن القول هنا إن قادة الفكر الإسلامي فقدوا هذا البحث
عن المقاصد والغايات منذ ما يزيد على ٣٠٠ سنة، لقد أرادوا أن
يستمرروا وبقوا، لا أن يتوصلوا إلى هدف أسمى وأعلى في
المجتمع، وكانت هذه نهاية التفكير الإسلامي ونهاية الازدهار
الإسلامي .

عندما ذهبت إلى جامعة هارفارد وحصلت على شهادتي في
القانون، مكثت هناك ثلاث سنوات لم أسمع خلالها كلمة العدل
ولا مرة واحدة . هدف العدل هو أن يخلق النظام والاستقرار في
المجتمع . وبدون هذه المعاني ستعم الفوضى وعدم الاستقرار .

وأذكر هنا حادثة كان لها أثر كبير في حياتي؛ ففي عام ١٩٤٨م
سافرت إلى ألمانيا لأدرس الصراع بين الحق والباطل في
الروحانيات، وكان هناك الكثير من الطلاب الذين يدرسون في
هذا الحقل . فقد راعهم ما حدث على يدى النازية والهتلرية
إبان الحرب العالمية الثانية . . وكانت هذه الدراسات تدار من قبل
حركات سرية كانت ضد الشيوعية كما كانت ضد النازية، وقد
حاولت الذهاب إلى ألمانيا الشرقية لأقوم ببحث حول هذه
الحركات السرية حيث ألقى القبض عليّ مرتين واستطعت الهرب .
وكان هذا أحد الأسباب التي جعلتني أمضى بقية حياتي أقاتل
الشيوعية .

* وكيف تم اختيارك مستشاراً للشؤون الخارجية الأمريكية؟

فى عام ١٩٦٣م كتبتُ مقالةً طويلةً فى الصراع بين روسيا وأمريكا، وقد قرأ الرئيس نيكسون هذه المقالة وهو فى الطائرة، واستدعانى بعدها، وكلّفنى بوضع كتاب عن السياسة الخارجية الأمريكية وعن الشيوعية، ثم عملت مستشاراً للشؤون الخارجية منذ عام ١٩٦٨م، وكنتيجة لهذا الكتاب عيّنتُ نائباً للرئيس نيكسون للأمن القومى فى البيت الأبيض، وكان هناك أربعة نواب للرئيس كنت أحدهم، وفى عام ١٩٦٩م عندما تسلم هنرى كيسنجر وزارة الخارجية أنهى عملى بسبب ٢٥ ورقة كانت فى كتابى تضمنت موضوع فلسطين، وقد اقترحت يومها تشكيل دولتين: يهودية وفلسطينية، وقد بحث هذا الموضوع سنوات عديدة على أعلى المستويات فى دوائر الولايات المتحدة وفى البيت الأبيض، لكن كيسنجر كان ضد كل إنسان يبحث فى هذا الموضوع. ! ووقف كيسنجر ضدى فى كل مجال دخلتُ أو عملتُ فيه. ثم عيّنى نيكسون نائباً لإدارة شئون إحدى الولايات فى البيت الأبيض، كما عملت فى مسألة «ووتر جيت».

* هل يمكن لمسلم أمريكى أن يتسلم منصباً سياسياً فى الإدارة الأمريكية؟

على الصعيد الشخصى لم أتسلم أى منصب منذ إسلامى. وإذا أراد الإنسان أن يقوم بدور مؤثر فيجب أن تكون هناك قوى متضاربة، وليس شخصاً واحداً. نحن بحاجة إلى مصانع فكر

إسلامي لكي يشرحوا للأمريكيين كيف يجب على أمريكا أن تدير سياستها الخارجية، وأن يبينوا أن العدل هو الطريق الطويل الذي يجب أن تسلكه أمريكا.

السياسة الأمريكية الآن تريد أن تبقى على الأمور كما هي حتى ولو كان العالم مظلوماً، فما علينا إلا أن نسعى إلى الطريق الذي يؤمن العدالة ويؤمن الاستقرار لهذا العالم. لكن مفهوم العدالة يجب أن يشرح ويُقدّم بشكل صحيح إلى الأمريكيان. بمعنى آخر «مصانع الفكر الإسلامي» هي التي يجب أن تصون الفرد والتراث الأمريكي.

ويجب على هؤلاء أن يعملوا أيضاً مع صنّاع الأفكار الآخرين الموجودين في أمريكا... فهناك مصنع للأفكار للذين يريدون أن يفعلوا الشيء نفسه، ولكنهم يحتاجون إلى فكر إسلامي لكي يؤمن لهم النجاح. أي يجب على المسلم الأمريكي أن يفكر كأمركي قبل كل شيء... وقد عملت بصفتي مديراً للمجلس الإسلامي في أمريكا، ورئيساً للمحاميين الإسلاميين في أمريكا. عملت مع قادة الكونجرس، وقد تحدثت مع «لي هاملتون» وهو أحد الشخصيات التي تصوغ السياسة الأمريكية، وسألته: هل يمكن لأصحاب الفكر الإسلامي في أمريكا أن يُحدثوا أي تأثير على السياسة الأمريكية؟ وكان سعيداً عندما سمع هذا الكلام، وقال إنه كان يحضر اجتماعات كانت تعقد في الكونجرس أو في الدوائر الأمريكية الأخرى ولم يقابل مسلماً خلال كل هذه الاجتماعات. وأضاف: إذا كان هناك من المسلمين من لديهم

المعرفة بالسياسة الأمريكية، فهو يتمنى أن يراهم ويناقشهم، وهو يرحب بهم. وبالتالي لا بد أن تتضافر الجهود من أجل العمل مع الجهات الأخرى . . ونحن لا نزال بانتظار هذه الفئة من أصحاب الفكر الرفيع المستوى.

مرة ثانية: هل هناك أى مسلم يتسلم منصباً سياسياً في الولايات المتحدة الأمريكية؟

على حد علمى لا يوجد حتى الآن أى مسلم، ولكن إذا عملنا - كما أسلفنا - يجب أن ننتظر جيلاً قادمًا؛ فقد يكون الجيل الثانى من المسلمين أكثر تأهلاً لتسلم مناصب سياسية فى أمريكا، ولقيادة هذه الحركة المتمسكة بتراثها. والذين يعملون على إحياء التراث الإسلامى فى أمريكا بإمكانهم أن يكونوا نواة لحركة فكرية هناك.

أنا لست قلقًا على بقاء الإسلام فى أمريكا، وهذا الجيل الجديد قادر على القيام بهذه المهمة، وهذا واضح؛ فهى إرادة الله.

✽ ما هى أولويات العمل الإسلامى فى هذه المرحلة؟

فى اعتقادى أنه يجب التركيز على بناء فكر عال للمفهوم الإسلامى بين الشباب بشكل خاص. يجب أن يفهموا العالم الحديث، ويجدوا ردوداً إسلامية لكل المشاكل المطروحة فى المجتمع.

ومن جانب آخر يجب أن تُنمَّى ونظورُ قيادة فكرية بين

المسلمين وفي كل حقول المعرفة . ويكون الهدف من كلا الأمرين هو تدعيم العدل والعدالة في العالم . . وهذا يجعل الإسلام قوة إيجابية من أجل الخير في العالم . وهذه الأولويات تنطبق على الغرب كما تنطبق على العالم الإسلامي .

* يتهم الغرب المسلمين بالإرهاب، ما رأيك بهذا؟ وكيف تفهم الجهاد في الإسلام؟

الجهاد في الإسلام أنواع:

١ - الجهاد الأكبر: هو أن نُصَفِّي ونُقِّي أنفسنا، وبدون هذا لا نحقق أي شيء .

٢ - الجهاد الكبير: كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾^(١) وهذا الجهاد يشير إلى استعمال أفكارنا وعقولنا في سبيل نشر الإسلام وأفكار الإسلام .

٣ - الجهاد الأصغر: وهو يتطلب عملاً يتلاءم مع المفهوم الإسلامي؛ أي إذا رأيت باطلاً فعليك أن تقاومه، وكما يقول: النبي ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» .

ويمكن أن نصل أحياناً إلى حلول أشد شجاعة وتأثيراً إذا لم نستعمل العنف . ولكن هذا يتطلب وقتاً أطول على الأغلب، وأحياناً لا نملك الوقت الكافي كي ننتظر، فإذا هوجم الإنسان فلا

(١) سورة الفرقان، آية: ٥٢ .

وقت لديه للانتظار، ولا بد من الرد بعنف على الهجوم، ومثال على هذا هؤلاء الذين يهاجمون الفلسطينيين؛ فلا يملك الإنسان الفلسطيني إلا أن يردّ ويدافع عن نفسه، وهذا هو الحق في اللجوء إلى العنف لاستعادة الحقوق المسلوقة.

✽ السؤال إذن: متى وأين يجب أن نتخلى عن العنف؟

هذه مسألة يقررها الإنسان حسب الظروف. أحياناً العنف مطلوب للدفاع عن النفس، وخاصة إذا كانت هناك فرصة للنجاح، وإن كانت الفرصة ضعيفة، فعلياً أن نتنظر حتى تصبح الظروف مواتية لذلك النجاح.

✽ وماذا عن اتهام الغرب للإسلام والمسلمين بالإرهاب؟

الواقع أن أمريكا تُقاد من قِبَل الصهيونية، ولهذا فهم يعتقدون أن استعمال أي قوة ضد اليهود أو ضد المصالح الأمريكية هو إرهاب .. كما يعتبرون أن كل إنسان يجابه «إسرائيل» (إرهابي) .. وهذه عبارة قذرة؛ لأنك إذا لم تجابه «إسرائيل» ودعمت القضية الصهيونية فأنت لست إرهابياً في نظرهم! إنها كلمة يستعملونها لتدعيم أهداف ومطامع «إسرائيل». وهذا ينطبق على أي شعب آخر يريد أن يناضل من أجل حريته. فمثلاً في كشمير يقاتلون من أجل حريتهم، وهذا إرهاب من وجهة نظرهم.

* هل يسمح الغرب للإسلام أن يُشكّل قوةً يكون لها دورٌ في المجتمع الدولي؟

لن يرضى الغرب أبداً بوجود هذه القوة الإسلامية.. فهو يسعى حسب وجهة نظره، إلى قانون مستقر، وفي اعتقاده أن الإسلام يشكل تهديداً خطيراً له. والحل الوحيد لنجاح الإسلام والمسلمين هو أن يؤسلموا السياسة الغربية، ويؤمنوا أن الأفكار الإسلامية هي لصالح الناس جميعاً. والشعب الأمريكي هو أقرب الشعوب للإسلام بهذا؛ لأن عقيدتهم تتماشى بالأساس مع هذا المفهوم من المفاهيم الإسلامية.

* يتَّهم الإسلامُ بموقفه من المرأة؛ فكيف تفهم موقف الإسلام من المرأة؟

هناك نوعان من الإسلام: الإسلام الحقيقي، والإسلام الجاهلي - إن صحَّ التعبير -، وهذه الجاهلية هي التي تريد أن تعود بالمرأة إلى واقعها قبل ظهور الإسلام؛ حيث لم يكن للمرأة حقوق، ولكنها في عهد النبي ﷺ تسلمت كل مقاليد الحكم؛ فكانت هناك مشاركة للنساء على كل الأصعدة، فضلاً عن كونهن زوجات صالحات، وأمّهات صالحات، وإذا لم يقمن بهذه المسؤولية فإن الحضارة ستسير نحو الانهيار؛ فالرجل له دور، والمرأة لها دور. وقد أعطى الإسلام الحق للمرأة في التصرف في ملكيتها، وهو أمر غير معمول به في الغرب حتى الآن.

والمشكلة هي أن بعض المسلمين في الشرق أو في الغرب لا يفهمون التعاليم الحقيقية للإسلام فيما يخص المرأة؛ لذلك فهم لا يمارسون التعاليم الإسلامية في هذا المجال. ومن الصعب أن يفهم الغربيون حقيقة الإسلام؛ لأن الكثير من المسلمين الذين يعيشون في الغرب ليسوا نموذجاً طيباً للمسلمين ولا للإسلام.



أسوأ القرون فى تاريخ الإسلام والمسلمين

لقد بلغ الإسلام فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر نهاية جزره فى القوتين: المادية والمعنوية؛ لأنه تلقى عن القرون السابقة أثقالاً من المتاعب لم تُمسح أمة قبله بمثلها، ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مُصاب الإسلام بعد ما تلقاه من الضربات منذ القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر . . . وإنما الغريب عندهم هو تلك القوة المنيعَة التى صابَر بها الكوارث والشدائد زهاء تسعة قرون، ولم يزل بعدها وحدة إنسانية هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الأمم . . ضربات لم تصمد لمثلها دولة من الدول الجامعة، أى الدول التى سُميت بالإمبراطوريات فى العصرين القديم والحديث!!

«وقد كان القرن التاسع عشر ولا ريب أسوأ من كل القرون التى تقدمته؛ لأنه القرن الذى انبعثت فيه «المسألة الشرقية»^(١) من بقايا الحروب الصليبية . . وكانت المسألة الشرقية تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبية، وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تقسيم تركة «الرجل المريض»^(٢)، وتبادل الإغضاء

(١) كانت «المسألة الشرقية» تعنى فى أول الأمر تخليص الممالك المسيحية من أيدي الدولة العثمانية، وفى مرحلة ثانية أصبحت تعنى تقسيم الدولة العثمانية والدول الإسلامية - التابعة لها بين الدول الأوروبية.

(٢) اصطلاح أطلقته الدول الأوروبية على الامبراطورية العثمانية فى مرحلتها الأخيرة.

عن كل طرف متفق عليه يقع في قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها على قيد الحياة^(١).

إن القلب ليصتليء رعباً وهو يطالع تفاصيل هذه المؤامرة التي حيكّت لتقسيم العالم الإسلامي وابتزازه، والعمل على تدميره وتحطيمه، وقد ذكر لنا المرحوم الأمير شكيب أرسلان مائة مشروع وضعت لتقسيم دولة الخلافة، وفي هذا الحوار بين القيصر نيقولا إمبراطور روسيا، والسير هاملتون سيمور سفير بريطانيا تتضح أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة، وكيفية التدبير أو التفكير تجاه العالم الإسلامي وتدميره^(٢).

«... ففي ليلة سَمَرٍ عند القRANDوقة «هيلانة» الروسية - ٩ يناير ١٨٥٣ قال الإمبراطور نيقولا للسير هاملتون:

«تأمل! نحن بين أيدينا رجلٌ مريض .. ومريضٌ جداً، ويكون بالفعل وبالأعظيماً علينا إن خرج أمره من أيدينا!».

وفي مرة ثانية دعى السفير هاملتون لمقابلة القيصر، فقال له أيضاً:

«أنت لا تجهل المقاصد والمرامي التي لا تزال في روسيا منذ عهد كاترينا ... وتركيا هي - كما قلت لك من قبل - رجل مريض، ويجوز أن تموت بالرغم منا! فنبقى عبثاً علينا، وليس في استطاعتنا نشر الموتى!».

(١) عباس العقاد. محمد عبده: ص ١٠.

(٢) حاضر العالم الإسلامي ج ٣ ص ٣٠٧ - ٣٠٨.

«أفلا يكون من الأفضل بحقنا - تفادياً لحرب أوروبية - أن نتفق
مبقاً على أمرها حتى لا نؤخذ على غرة! وإنى أقول لك
بصراحة إننا إن استطعنا - أنا وإنجلترا - أن نتفق فى هذا الموضوع
لم يهمنا الآخرون . . وأنا لا أكتفك أنه إن كان فى نية إنجلترا
الاستيلاء على الأستانة فلن نحصل ذلك، لا أقول إن لكم هذه
النية، ولكن أقول إن صحت هذه النية فلن أكون راضياً، وأنا
نفسى أتعهد أيضاً بأن لا احتلها مالكا . . . أما بصورة مؤقتة على
سبيل الاستبداء فقد أرضى . . !!!

وأما إذا بقيت الأمور بدون قرار بشأنها، فقد يجوز أن احتلها
قولاً واحداً . . !!!»

فأجاب السير هاملتون: «يسمح لى جلالتك بالقول إنه ليس
عندنا أدنى سبب للظن أن المريض على وشك الهلاك!».
فرد القيصر فى حدة قائلاً:

«إذا كان عند حكومتك أمل بأن تركيا لا تزال فيها عناصر
الحياة، فإن المعلومات التى لديك غير صحيحة . . . وأنا أؤكد لك
أن المريض فى حالة احتضار، وأنه لا يجوز أن يموت ونحن عنه
غافلون . . !! بل يجب أن نتفق . . . ولست أكلفكم عقد معاهدة
. . أو تحرير صك . . وإنما أطلب كلمة اتفاق عامة، وهذا كافٍ
فيما بين الرجال الأكياس . .».

* * *

لم يحدث فى التاريخ، وفى أشد عصوره همجية أن تأمر
رئيس دولة على دولة مجاورة، وعمل على تدميرها بهذه الطريقة
التي كان يفكر بها قيصر روسيا، ولم يحدث فى أظلم عصور
التاريخ، وأشدّها همجية ووحشية أن حكم رئيس دولة على دولة
أخرى بالموت، وحدّد ساعة موتها بهذه الطريقة، ولم يحدث ولن
يحدث فى المستقبل كما نظن، ولكن الأحقاد التي تُشعّبت
جذورها فى العقل الأوروبي وغارت فى أعماق مشاعره
وإحساسه، هي التي كانت تخطط لهذا العمل الهسجى، وتنظّم هذا
الهجوم الوحشى... وتتفنى على توزيع التركة قبل التنفيذ العملى...

وسواء أكان موقف السفير الإنجليزى تعبيراً عن موقف حكومته
.. أم لم يكن؛ فإن الواقع ينفى كل اعتبار لحسن النية، واعتقادنا
هو: أن بريطانيا لم تشأ أن تُشرك روسيا معها فى اقتسام الضحية.

لقد بدأ الهجوم على العالم الإسلامى فى كل أقطاره،
واحاطت به الجيوش والأساطيل فى عقر داره، دمرت بريطانيا
ممالك الإسلام فى الهند، وسيطرت على الخليج، واحتلت فى
طريقها عدن، وأبحرت أساطيلها شرقاً وغرباً، فلم تدعْ جزيرة فى
بحر، ولا مدينة على ساحل.

وانطلقت فرنسا من وراء بريطانيا، فاحتلت الجزائر والمغرب
وتونس.

وذهبت إيطاليا إلى الصومال وإريتريا. وسيطرت هولندا على

جزر الهند الشرقية بأكملها . . وأحيط بممالك الإسلام وسلطاناته
فى شرق وغرب أفريقيا، وأخيراً وقعت مصر والسودان فى قبضة
بريطانيا.

لقد سقط «المجدار» ومشت سكة الأجنبى فى حقل الإسلام،
وتداعت الأمم على المسلمين، كما تنبأ النبى - ﷺ - قبل ذلك
بأكثر من ألف وأربعمائة عام^(١) . . .



كانت النازلة شديدة، والكارثة كبيرة، والمهركة ضد الإسلام
والمسلمين ضارية عنيفة، كانت هذه الأيام والسنوات كما يقول
المؤرخ الجبرتى «أول سنى الملاحم العظيمة، والحوادث الجسيمة،
والوقائع النازلة، والتوازل الهائلة، وتوالى المحن، واختلال
الزمن، وانعكاس المطبوع، وانقلاب الموضوع، وتتابع الأحوال،
واختلاف الأحوال، وعموم الخراب، وتواتر الأسباب، وما كان
ربك لبهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون»^(٢).



وبدا رد الفعل. وكان للتصرف الاستعمارى البغيض،

(١) فى حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يوشك أن تداعى الأمم عليكم
كما تداعى الأكلة على قصعتها» . . الحديث رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل
النبوّة. انظر: مشكاة المصابيح ج ٢ طبعة المكتب الإسلامى ١٣٨١ هـ.
(٢) عجائب الآثار للجبرتى مطبعة الشعب - القاهرة.

والتعصب الصليبي المقيت أثره السريع في الانتفاض والبقطة، وإعلان الجهاد والثورة^(١).

كان الدين هو القوة المحركة الوحيدة في هذا الوقت، وكان العلماء هم الجزء الحي في جسم الأمة الميت . . . وكما أن السيف والقيثارة قد اجتمعا في عصور الوثنية - قبل البعثة النبوية - فكذلك اتحد في الإسلام العلم الديني مع النبوغ الحربي، واستخدمت هذه المواهب في مكاحفة الكفر والزندقة . . . والتاريخ القديم للإسلام مفعم بالأمثلة الكثيرة من هذا القبيل، وأقدم نموذج لهذا ما أثر عن الإمام علي بن أبي طالب وسيفه، وقد كان في الوقت نفسه حجة في كافة المسائل الدينية التي كان يعالجها بعلمه الديني الراسخ.

بل إننا نرى غالباً في الأخبار الدينية المستيقنة هذا الجمع بين المزايا الحربية والعلمية في أشخاص كانوا على رأس الجيوش المحاربة، ولكي نثبت استمرار هذه الظاهرة حتى عصرنا الحاضر يكفي أن ندلل على ذلك بـ «عبد المؤمن» مهدي الموحدين في المغرب، في القرن الثاني عشر الميلادي، الذي غادر كراسي التعليم ومنابر الوعظ ليكون على رأس جيشه، وليؤسس دولة إسلامية عظيمة في المغرب بعد حروب حماسية أثارها، وأبدى فيها كثيراً

(١) فقد كان أول عمل قامت به فرنسا بعد احتلالها الجزائر تحويل مسجد «كيشارو» التاريخي إلى كاتدرائية (Cathedrale) وأصدرت هيئة البريد الفرنسي طابعاً تذكاريًا يمثل الهلال رمز الإسلام وهو يسقط منحتراً إلى قاع البحر، على حين يرتفع الصليب رونداً، ليغمر ببناء الأفق^{١١}.

من ضروب البالة. والبطل الحديث «عبد القادر الجزائري»^(١) الذي قاوم الفرنسيين مقاومة حربية بأسلة عندما أخذوا في إخضاع الجزائر، ولما انتهى جهاده جمع حوله في منفاه بدمشق طلابه ومريديه الذين تابعوا في إصفاء واجتهاد دروسه في الفقه والعلوم الدينية الأخرى.

وعن يمثل هذه الظاهرة الفذة في تاريخ الإسلام الحديث «شامل» بطل الاستقلال القوفاري، والمهديون الحربيون الذين ظهرُوا في السودان والصومال.

وحول نهاية القرن الثامن عشر ظهر من بين جماعة القولاني رجل معروف يدعى الشيخ عثمان دنقيديو عُرف بأنه مصلح ديني وداعية محارب^(٢). وقد ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج، وعاد من هناك ممثلاً بالحماسة والغيرة من أجل الإصلاح والدعوة إلى الإسلام، وكانت جماعة «القولاني» التي يتسب إليها الشيخ بضعة قبائل صغيرة تحمي حياة رعوية هادئة، فعمل الشيخ عثمان دنقيديو على توحيدها، وجعل منها جماعة قوية، وقد حاول ملك

(١) وقد كان من الأمثلة البارزة الأخرى المرحوم الأمير عبد الكريم الخطابي الذي دُوحَ الفرنسيين والأسبان في حرب الريف ببلاد المغرب.

كما كان لحركة الشيخ عبد الحميد بن باديس أثرها في الثورة الجزائرية، والحفاظ على الصيغة الإسلامية للشعب الجزائري، كما كانت دروسه، وحلقات تعليمه مفرسة جماعة للزعماء والعلماء.

(٢) انظر في هذا الموضوع «إحياء السنة» تأليف عثمان دنقيديو، طبع إدارة الثقافة بالأزهر.

مملكة «جوير» الوثنية أن يعوق قوة الفولاني المتزايدة في مملكته، فأدى ذلك إلى أن رفع عثمان دنفيدو عَلمَ الثورة، وسرعان ما وجد نفسه على رأس جيش قوى، واستطاع أن يفرض سيطرته على الممالك الوثنية والولايات الإسلامية المجاورة، فسقطت هذه الولايات واحدة بعد أخرى، وأصبحت كل أراضي الخوصا تحت حكم «دنفيدو» قبل وفاته سنة ١٨١٦م، ولا يزال قبره في «سوكوتو» مثابةً يقصدها الناس من كل جهة^(١).

وكانت هناك حركات حرّية أخرى قام بها رجالٌ جمعوا بين العلم الدينى والجهاد بالسيف، منهم الحاج عمر الذى وُلد سنة ١٧٩٧م على مقربة من بودور (Boudour) على نهر السنغال الأدنى، ويظهر أنه كان رجلاً كريماً السجايا، مهيباً، ذا مظهرٍ يوحى بالسيطرة والقوة، وكان ابناً لأحد المرابطين، وتثقف ثقافة دينية متينة، واشتهر بعلمه وورعه، وقد سافر إلى الحج سنة ١٨٢٧م، ولم يعد إلى وطنه إلا سنة ١٨٨٣م حيث نشط فى نشر تعاليم التيجانية، وهاجم أبناء دينه لجهلهم مهاجمةً عنيفة، وقد التف حوله كثير من الاتباع، وكرّم كـ«مهديّ جديد»، وما إن وافت سنة ١٨٤١م حتى كان قد بلغ جبالاً فوناجالون، حيث سلّح أتباعه، وبدأ سلسلة من الحملات فى نشر الدعوة، وفى إحدى هذه الغزوات لقيَ حتفه سنة ١٨٦٥م^(٢).

ولدينا تفاصيل أخرى عن حركة من هذا النوع، وأحدث زمناً

(١) الدعوة إلى الإسلام ص ٣٦٠ - ٣٦٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٧.

من تلك الحركة التي قام بها الحاج عمر «المهدى السنغالي»؛ قامت هذه الحركة في جنوب «سنغامبيا» على يد أحد أفراد قبيلة «الماندجورا»، ويدعى «أحمد صمودو»، وقد وُلد أحمد هذا في سنة ١٨٤٦م وأسس إمبراطوريته في جنوب «سنغامبيا» في البلاد التي يرويها نهر النيجر الأعلى وروافده، وقد بلغ «أحمد صمودو» أوج قوته سنة ١٨٨١م^(١) . . . وبعد ذلك بقليل دخل في نزاع مع الفرنسيين، فأسروه سنة ١٨٩٨م بعد سلسلة من الغزوات القاسية^(٢).

ولم يكد القرن التاسع عشر يوشك على الانتهاء حتى هبَّت الثورات في معظم أقطار العالم الإسلامي؛ في آسيا الوسطى، والهند، في السودان، وفي مصر.

أو كما يقول «ألن مورهد» لقد اشتعلت الشرارة المقدسة، وانتفض المارد الذي ظل ساكناً حين حانت القرصة...!!



(١) نفس السنة التي قام فيها المهدى السوداني بدعوته.

(٢) الدعوة إلى الإسلام: ص ٣٦٩.

الخرافة الكبرى

كان أول لقاء بين الإسلام وأوروبا تلك الرسالة التي بعث بها النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم . . وقصة هذه الرسالة معروفة لدى العامة والخاصة بين المسلمين .

غير أن هذا اللقاء الودود السلمي من قبل النبي ﷺ لم يُقابل بمثله من قبل الرومانيين؛ فقد بدأت الدولة الرومانية تستعد لحرب المسلمين، وبخاصة بعد مقتل مبعوث النبي ﷺ^(١) على أيدي أحد العملاء الرومانيين . . بالرغم مما أظهره هرقل قبل ذلك من مودة وتقدير للإسلام ونيّة الكريم . . وهذا هو السبب الحقيقي للقتال في غزوة «مؤنة» وغزوة «تبوك». كما كانت هذه الحادثة هي السبب في استئصال شأفة الدولة الرومانية ومطاردتها بعد ذلك في مختلف أقطار العرب والمسلمين .

ومنذ عهد الخليفة عثمان بدأ غزو المسلمين البحري؛ إذ غزا معاوية جزيرة قبرص، ونقل إليها جماعة من بعلبك، وبعث إليها باثني عشر ألفاً فبنوا بها المساجد، وعلموا أهلها اللغة العربية والقرآن .

وفي عهد معاوية قُتِح عددٌ من جزر البحر المتوسط، وشنت حملات على بلاد الأناضول، وأُرسلت حملة لفتح القسطنطينية،

(١) اسمه شرحبيل بن عمرو الفهسي .

وتوالت عليها حملات فى عهد خلفائه الأمويين، وكان أشد ما غُزيت به على يد مَسْلَمَة بن عبد الملك فى عهد أخيه سليمان.

ودخل المسلمون إسبانيا قبل نهاية القرن الأول الهجرى، ثم دخلوا صقلية وجنوب إيطاليا، وأعادوا فتح الجزر التى فى البحر الأبيض، وحولوها جزراً إسلامية.

وإذا كان المسلمون قد فتحوا بلاد الأندلس، وإذا كان الأتراك العثمانيون قد وصلوا إلى أبواب فيينا عاصمة النمسا . فالسؤال هو:

هل كانت هذه الفتوحات سبباً فى انتشار الإسلام فى أوروبا؟

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

* * *

إن الإيمان كما يقول القرآن لا يُفرض بالقوة، الإيمان أساسه إقرار بالقلب، والاعتقاد فيما يؤمن به الإنسان أنه حق . . ولم يُعرف عن المسلمين فى أوج سلطانهم وقوتهم أنهم أرغموا أحداً على اعتناق الإسلام بالقوة.

بل إن أحد الحكام المسلمين فى مصر رفض دخول الأقباط فى الإسلام حتى لا تنخفض الأموال التى كان يحصلها منهم كجزية . . وحين سمع الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك كتب إليه بأن يترك الحرية للناس فيما يختارونه من عقيدة ؛ لأن محمداً ﷺ أرسله الله إلى الناس للهداية لا لتحصيل الجباية والجزية.

يقول المستر (دارير) الأمريكى المشهور:

«إن المسلمين الأوائل فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملتهم أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن إليهم على مجرد الاحترام، بل فوضوا إليهم كثيراً من الأعمال الجسام، ورقّوهم فى مناصب الدولة، حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت إمرة (ابن ماسويه)، ولم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة»^(١).

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر «هـ. ج. ولز» فى صدد حديثه عن تعاليم الإسلام^(٢):

«إنها أست فى العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ فى الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة، ممكنة التنفيذ؛ فقد أقامت مجتمعاً إنسانياً لا تعصب فيه بسبب التفرقة فى الدين».

نعود مرة ثانية للتساؤل: هل استعمل الفاتحون المسلمون القوة فى إرغام غير المسلمين على اعتناق الإسلام؟

بدايةً الإجابة من «القسطنطينية» .. وقد اخترت القسطنطينية بالذات؛ لأن الأتراك العثمانيين ظلّموا فى تاريخنا الحديث ظلّماً بيّناً .. ولأن العرب بصفة خاصة نقلوا عن الغرب المأثور كل ما

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى - لأدم متر - ترجمة الدكتور

أبى ريدة جزء ١ ص ٨٥ : ٨٧.

(٢) فى كتابه: موجز تاريخ العالم.

كتبه هذا الغرب عن الدولة العثمانية دون تحييص لروايات هذا الغرب التي زُورت ولُفِّتْ لنشويه سمعة هذه القوة الإسلامية التي لُقِّنت الغرب وشعوبه درساً قاسياً على مدى ستة قرون.

يقول «توماس أرنولد»^(١):

«لم تكد حاضرة الإمبراطورية الشرقية القديمة تسقط في أيدي العثمانيين سنة ١٤٥٣ م. حتى توطَّدَت العلاقات بين الحكومة الإسلامية والكنيسة المسيحية بصفة قاطعة وعلى أساس ثابت.

ومن أولى الخطوات التي اتَّخَذَهَا الخليفة العثماني محمد الثاني، بعد سقوط القسطنطينية وإعادة إقرار النظام فيها أن أعلن نفسه حامى الكنيسة الإغريقية، فحرَّم اضطهادَ المسيحيين تحريماً قاطعاً، ومنحَ البطريرق الجديدَ مرسوماً يضمن له ولائباعه والمروسيه من الاساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة والموارد والهبات التي كانوا يتمتعون بها فى العهد السابق. وقد تسلّم «جنادىوس» أول بطريق بعد الفتح التركى، من يد السلطان نفسه عصا الأسقفية التي كانت رمزَ هذا المنصب، ومعها كيسٌ يحتوى على ألف دوكة ذهبية، وحصاناً محلّى بطاقم فاخر، وكان يتميز بركوبه عبر المدينة تحفُّ به حاشيته. ولم يقتصر المسلمون فى معاملة رئيس الكنيسة على ما تعودُ أن يلقاه من الأباطرة المسيحيين من توقير وتعظيم، بل كان متمتعاً أيضاً بسلطة أهلية واسعة؛ فكان من عمل البطريركية أن تفصل فى القضايا التى تتعلق بالإغريق

(١) «الدعوة إلى الإسلام» ترجمة إبراهيم حسنى وآخرين.

بعضهم مع بعض؛ فكان لها أن تفرض الغرامات، وتسجن
المجرمين في سجن مُعدَّ لها، بل كان لها أن تحكم بالإعدام في
بعض الأحيان، بينما صدرت التعليمات إلى الوزراء وموظفي
الحكومة بتنفيذ هذه الأحكام. !!!

وقد تميز الأتراك بصلابتهم في حياتهم الدينية، وحماسهم في
أداء طقوسهم التي رسمها لهم دينهم في زيهم وأسلوب
معيشتهم، وباطة الحياة التي تلاحظُ حتى في العظماء أو الأقرباء
منهم.

ويشئ مؤرخ السفارة التي أرسلها الامبراطور «ليوبولد الأول»
إلى الباب العالي من سنة ١٦٦٥م - ١٦٦٦م ثناءً خاصاً على تعبد
الأتراك وانتظامهم في الصلاة، بل يذهب بعيداً فيقول:

«يجب أن نتكلم عن فوضى المسيحيين، وأن سلوك الأتراك
يبرهن على كثير من العناية والغيرة في أداء شعائهم الدينية، أما
المسيحيون فلم يُظهروا شيئاً من ذلك في دينهم...».

حتى أن التركي العظيم نفسه لا يحاول أمراً إلا بعد مشورة
المفتي، وإلى أي حد هم مهتمون بمراعاة أوقات الصلوات الخمس
في كل يوم حيث وجدوا وأياً كانت مشاغلهم ؟!.

ما أشدَّ مراعاتهم دائماً لصومهم من الصباح حتى المساء طوال
أيام الشهر بلا انقطاع!.

ما أكثر توادُّ المسلمين وتراحمهم!.

وما أعظم ما يرى من عنايتهم بالغرباء في نُزُلهم، سواء بالفقير
أو المسافر...!

لو تأملنا عدالتهم ونزاهتهم وسائر فضائلهم الخلقية لحنجلنا من
جمودنا، سواء في عبادتنا أو في تراحمنا، ومن جورنا وإفراطنا
وتعسفنا؛ فلا ريب أن هؤلاء الناس سيقبمون الحجة علينا، ولا
شك أن عبادتهم وتقواهم وأعمال الرحمة فيهم، هي الأسباب
الرئيسية لثمر الدعوة المحمدية...!!

ولكن أهم ما نلاحظه هنا، أن بعض الناس بدأ يسأل:
هل من الجائز أن يأذن الله للمسلمين بأن يبلغوا ما بلغوه من
هذا العدد الذي لا يدخل تحت حصر بدون سبب معقول...؟
هل من المتصور أن مثل هذه الآلاف المؤلفة تتعرض للهلاك
الأبدى كما يتعرض الرجل الواحد؟
كيف يمكن أن يكون أمثال هذه الجماهير الزاخرة مناوئين
للدين الحق؟

إنه إذا كان الحق أقوى من الباطل، وكان الناس جميعاً يحبون
الحق ويرغبون فيه أكثر مما يحبون الباطل، فليس من المحتمل أن
تُجمع أقوام كثيرة كهؤلاء على محاربته...!!
كيف استطاعوا أن يقرؤوا على الحق ما دام الله يُعين على الحق
ويؤيده؟

كيف استطاع دينهم أن يتشرب بهذه الصورة العجيبة لو أنه قام
على أساس فاسد من الباطل؟!!

وفى حوار دار بين القائد المجرى «هينادى» وبين رجل مجرى
آخر اسمه «برانكوفيتش»، وكان ذلك أثناء نشوب الحرب بين
المجر والأتراك .. سأل «برانكوفيتش» القائد المجرى هذا السؤال:

ماذا سوف تصنع لو انتصرت على المسلمين؟

فأجاب القائد: «المسيحى» المجرى:

أهدم كل المساجد طبعاً ... !!!

ثم ذهب «برانكوفيتش» بعد ذلك إلى القائد التركى المسلم ثم
سأله: ماذا ستصنع مع ديننا - أى المسيحية - إذا انتصرت؟

فأجاب القائد التركى المسلم:

«أقيم كنيسة بجوار كل مسجد»!!

ومن أغرب ما تقرأه فى كتب الفرحة أن راهباً أصدر كتاباً سماه
«المصيبة الإسلامية» ! ويقول هذا الراهب إن المسلمين من أمكر
خلق الله ... !

ويا ليت المسلمين كانوا كذلك .. إذن لتغير وجه التاريخ
وانتهت مشاكلنا ومضائنا ... !

نعود إلى قول هذا الراهب لتساءل:

لماذا قال هذا عن المسلمين؟ ولماذا وصفهم بالمكر الذى لم
يعرفوه ولم يمارسوه أبداً؟ .

يقول هذا الراهب:

«إن المسلمين لم يستعملوا القوة أو الإكراه فى إرغام أى أحد

على اعتناق دينهم أبداً .. بينما كان العكس هو الواقع والأسلوب
مع كل مخالفتنا في عقيدتنا ..؟!!

وقد دفع هذا الموقف - أى تسامح المسلمين مع مخالفتهم وعدم
إكراههم على الدخول في دينهم - إلى أن يقترب الناس من هؤلاء
المسلمين ليتعرفوا على حقيقة دينهم .. وهنا كانت المصيبة؛ فما
من أحد تعرّف على الإسلام إلا وآمنَ به وترك من ورائه
الكنية ..!!

هل سمعتم أسوأ من هذا المنطق^(١)؟



(١) انظر: كتاب «الدعوة إلى الإسلام» لتوماس أرنولد - وكتاب «من روائع
حضارتنا» مصطفى الباعى، وكتاب «الغزو الفكرى حقيقة أم وهم» محمد
عمارة.

لكن لماذا يَكُونُ الإسلام؟

قبل عشر سنوات، وفي عهد رئيس وزراء بريطانيا السابق «جون مييجور» سأله مراسل صحفي:

كيف ترسل بريطانيا قواتها إلى (البوسنة والهرسك) وتترك بريطانيا بدون قوة رادعة لأي خطر محتمل؟

ماذا قال الوزير؟

لقد قال بالنص وبالحرف: «لقد أرسلنا قواتنا إلى هناك لمنع الخطر من الوصول إلى لندن» !!!...

فعاد الصحفي وسأله مرة أخرى عن اسم هذا الخطر. !

فقال الوزير: «إنهم المسلمون طبعاً» !!!...

وهل يشك أحد - أن أمريكا وأوروبا كانت ستسحق الصرب سحقاً على جرائمهم الوحشية وعمليات الإبادة والتطهير العرقي لو كان الصرب مسلمين. !

وهل يتصور أحد تطبيق حظر السلاح على (البوسنة) لو كانت مسيحية - والمعتدى هم المسلمون؟!

وقد نُشرت إحدى الوثائق التي تسربت من مكتب رئيس الوزراء البريطاني - السابق - (جون مييجور)، وفي هذه الوثيقة يكشف رئيس الوزراء البريطاني الستار عن أبعاد المؤامرة التي تقودها بريطانيا ضد المسلمين في أوروبا والعالم.

لقد اعترف الجندي البريطاني: «نيك كامبيرون» بعد ٧ سنوات كاملة على الجريمة، بما حدث من تواطؤ أوروبي لذبح مسلمي البوسنة، حكى الرجل ما حدث لصحيفة الصانداي تايمز، قال: «لقد آن الأوان أن نتكلم، نقول حقيقة ما حدث في حرب البوسنة، تحديدًا في «سربريتشا»، لم أعد أحتمل الكتمان أكثر من ذلك، لقد خدعنا الجنود المسلمون، فتحن - قوات الحماية الدولية - بدلاً من أن توفر لهم الأمن والحماية غررنا بهم وسلمناهم للضرب» . . . ويضيف: «لقد قام الضرب بذبح سبعة آلاف مسلم على مرأى ومسمع من الغرب، بل وبموافقة قوات الأمم المتحدة الدولية التي كان من المفترض أن تحمي المسلمين في «سربريتشا»، ولكنها - على العكس من ذلك تمامًا - سمحت للضرب بتصفيتهم، بعد أن تأكدت تلك القوات من عزم القوات الصربية على ذبح المسلمين» !!!

يقول «كامبيرون» أن افزع لحظة عاشها خلال الشهور العvisية التي قضاها في البوسنة هي عندما بَلَغته دموعُ الجنود المسلمين وهم يودّعونه بعد أن خسروا المعركة تمامًا، ويشكرونه على الدور الذي قام به هو وغيره من قوات الحماية الدولية، أما هو فكان يشعر بمرارة الخزي والعار في أعماقه، وأخذ يودع الجنود عند مغادرته أرض الدمار وهو يقول لهم: «سامحوني . . . أنا آسف»، هو وحده كان يعلم لماذا هو آسف، ولماذا طلب منهم السماح.

أما هم فلم يكن لديهم أدنى فكرة أن البقية الحية منهم سوف

يرقدون بجانب رفاقهم في المقابر الجماعية التي أُعدت خصيصاً لهم في القرى والغابات الواسعة . . كانت قوات الحماية الدولية قد تواطأت مع الصرب على ترك الجنود المسلمين وأهالي سربريتشا المسلمين ليُقتلوا على يد الصرب بعد انسحاب القوات الدولية، كان هذا أمر في حكم المؤكد، ومع ذلك سمحت به القوات الدولية أو جَهَّزَت المسرح له !!!

ويعترف كامIRON بذلك قائلاً: «لقد خدعنا المسلمين تماماً . .» ويضيف: «إن عملية التلاعب بالألفاظ في مفهوم الحماية الدولية كانت هي المفتاح الذي استخدمه الغرب لإطلاق يد الصرب الغادرة لتصفية المسلمين في سربريتشا». ويقول كامIRON أيضاً: «عندما ذهبُ في البداية مع أفراد القوة لحماية المنطقة كنت أعتقد أنني ذاهبٌ لحماية الضعيف من القوى، والذي حدث هو أننا سهلنا مهمة افتراس المسلمين على يد الصرب»!!..



يقول: «يوجين روستو» مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق «جونسون»: «يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية. لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة، بصورة مختلفة. ومنذ قرن ونصف

خضع الإسلام لسيطرة الغرب، وخضع التراث الإسلامى للتراث المسيحى.

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هى جزء مكمل للعالم الغربى؛ فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسفته وعقيدته المتمثلة فى الدين الإسلامى، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف فى الصف المعادى للإسلام وإلى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية؛ لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تنتكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها. إن روستو يحدد أن هدف الاستعمار فى الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية، وأن قيام إسرائيل هو جزء من هذا المخطط، وأن ذلك ليس إلا استمراراً للحرب الصليبية^(١).

فى أواخر عام ١٩٥٠ ثارت ضجة فى إيطاليا عندما أعلن أن السفير الإيطالى فى السعودية «توركواتو كارديلى» اعتنق الإسلام يوم ١٦ نوفمبر، وأعلن أنه اهتدى إلى الإسلام بعد دراسة عميقة للقرآن والقيم والحضارة الإسلامية.

وعلقت صحيفة «لاستامبا» الإيطالية على هذا الحدث فى عددها يوم ٢٦ نوفمبر فقالت: إن «كارديلى» انحاز إلى الإسلام فى الوقت الذى احتدم فيه الصراع بين الحضارات والديانات، وأن اختيار السفير للإسلام يشير كثيراً من الجدل، خصوصاً أنه أول دبلوماسى يعتنق الإسلام، فقد اعتنق الإسلام قبله «ماريو شيالوجا» الذى اعتنق الإسلام فى عام ١٩٨٨م، وتولى منصب

(١) معركة المصير - صفحات ٨٧ - ٩٤ (سعد جمعة).

سفير إيطاليا في السعودية عشر سنوات بعد إسلامه، وأصبح رئيساً للمجلس الإسلامي الإيطالي، ونائباً لرئيس رابطة العالم الإسلامي في مكة، ولها فرع في العاصمة الإيطالية روما.

أما «كارديلي» السفير الذي شغل الصحافة والرأي العام في أوروبا لاعتناقه الإسلام فهو باحث متعمق في شئون العالم الإسلامي، درس اللغات والحضارات الشرقية، كما درس الحياة السياسية في الشرق، وبدأ العمل في السلك الدبلوماسي عام ١٩٦٧م، وتولى مناصب عديدة في سفارات إيطاليا في عديد من الدول الإسلامية منها سوريا والعراق وليبيا، وشغل منصب السفير في دار السلام عاصمة تانزانيا من عام ١٩٩٣م حتى ١٩٩٧م، عاد بعدها إلى وزارة الخارجية الإيطالية، ومنذ عام ١٩٩٨م حتى عام ٢٠٠٠ شغل منصب أمين المجلس العام لشئون الإيطاليين بالخارج، ثم نقل سفيراً في السعودية، فهو إذن شخصية لها وزن سياسي ودبلوماسي كبير في الخارجية الإيطالية، وهو من المثقفين والدارسين للحضارات والديانات، وعلى إلمام كبير بقضية صراع الحضارات التي تدور رحاها في الغرب؛ ولذلك فإن اختياره للإسلام وللحضارة الإسلامية فسره بعض المعلقين في الصحافة الغربية على أنه هزيمة للغرب ونقطة تحسب لصالح الإسلام، ليس هذا هو الوقت المناسب لحصول الإسلام عليها كما قالوا.

وانشغلت الصحافة الغربية بالبحث عن كيفية اعتناق السفير الإيطالي للإسلام .. وهل تعرض لضغوط من جهات ما .. أو وقع تحت إغراءات ما؟

فاكتشفوا أن الرجل أعلن أنه اختار الإسلام نتيجة بحث

ودراسة لسنوات، وبعد قراءات وتأملات طويلة في القرآن
والأحاديث وكتب التفسير المعتمدة، حدث هذا التحول في وجدانه
وعقله، وكان ذلك قبل أن يصل إلى السعودية، وهذا ما حدث
للسفير الآخر الذي سبقه «شبالوجا» في عام ١٩٨٨م، وكان وقتها
دبلوماسياً يمثل بلاده في نيويورك، ويشغل منصب نائب المندوب
الدائم لإيطاليا لدى الأمم المتحدة.



لقاء في استانبول

قبل سنوات سافرتُ إلى «أذربيجان» لحضور اجتماع الأمانة العامة للقيادة الإسلامية العالمية في العاصمة «باكو»، وفي طريق العودة إلى القاهرة قضيتُ ليلتين في فندق «هوليداي إن» في مدينة «استانبول».

التقيتُ مصادفةً في هذا الفندق بأخ بلجيكي مسلم. لقد أخبرني هذا الأخ عن قريب له يعمل في مقر حلف شمال الأطلسي (NATO) بمدينة «بروكسل»، وقد سمع الأخ البلجيكي المسلم من قريبه الذي يعمل في مقر منظمة هذا الحلف هذه القصة المثيرة للآلم والتعجب:

في إحدى الحانات (BAR) الواقعة في شارع «روزفلت» بمدينة «بروكسل» جلس هذا القريب مع عضو بارز في منظمة هذا الحلف يحتميان الخمر. كانت شبكة الأخبار العالمية (C.N.N.) تبث - مصادفةً - برنامجاً عن العالم الإسلامي.

فجأة وبعد أن لعبت الخمر برأس هذا العضو البارز قال هذا العضو وهو يهذى من شدة الخمر:

«إن العالم الإسلامي يجب أن يذهب كما ذهب الاتحاد السوفيتي، وقد وضع الحلف خطة متكاملة لتنفيذ هذا الهدف!!!».

ثم قال:

هناك اتفاق بين أوروبا والولايات المتحدة والفاتيكان على تفاصيل هذه الخطة!!!

وقد بدأ تنفيذها بإثارة الحرب بين العراق وإيران من جهة وبين العراق والكويت من جهة أخرى !!!

إننا - يقول هذا المشوّل - نحن الذين وضعنا «سيناريو» هاتين الحربين !!! وكان الهدف - كمرحلة أولى - تدمير القوتين العسكريتين لكل من إيران والعراق؛ لمصلحة إسرائيل من ناحية، ولإيقاع الخلاف بين العرب والعرب من ناحية، وبين العرب وإيران من ناحية أخرى... !!!

والسودان ... إننا لا نهتم بمشكلة الأقليات إلا حين يكون ذلك لصالحنا. ١ والذي يحدث في السودان خطّط له منذ أيام الملكة فكتوريا... ١ فالسودان بحدوده الواسعة وإمكاناته الهائلة مصدر خطر وقلقل ... فالمسلمون - مثلاً - يشكلون أغلبية في معظم أقطار شمال وغرب وشرق ووسط إفريقيا، حتى في أثيوبيا يمثل المسلمون الغالبية العظمى...! ويمكن في حال استقرار السودان أن تلتحم هذه الأغليات في وحدة إسلامية تهدد بل تدمر جميع مصالحنا. !!!

يُقال مثل ذلك عن نيجيريا .. لقد اضطرت نيجيريا تحت ضغط عملائنا إلى تجميد عضويتها في منظمة المؤتمر الإسلامي. ١ إن نيجيريا معرضة للتقسيم فعلاً ... وما حدث في «بيافرا» بقيادة (أوجوكسي) يمكن أن يتكرر حدوثه لو أحسنا بأي تحرك إسلامي أصولي في نيجيريا. !!!

كما أن هناك «بؤراً» مرشحة لإثارة أسباب التوتر والانقسامات في الشرق الأقصى، يأتي في مقدمتها كل من «باكستان وأفغانستان، وماليزيا».



الجهل بالتاريخ

فى برنامج أذيع على قناة (شبكة الإذاعة المسيحية) من فرجينيا؛ قال رجل أمريكى اسمه (بات روبنسون) - يقال إنه كان مرشحاً لرئاسة الولايات المتحدة - قال فى إحدى حلقات برنامج بثه هذه الإذاعة:

إن المسلمين العرب كانوا هم تجار الرقيق فى إفريقيا، ثم يتعجب ويندهش من كثرة دخول الأمريكىين الزوج فى الإسلام ويتساءل:

«كيف يعتنق هؤلاء الأمريكىون الزوج (دين) الذين استرقوهم أو استرقوا آبائهم وأجدادهم؟!»

وأحمدُ الله أن مثل هذا الحقود الجاهل لم يصل إلى البيت الأبيض، وإلا كان أول عمل يقوم به إصدار قرار رئاسى بمحو العرب والمسلمين فى جميع أنحاء العالم...!! ولست أدري كيف غاب عن هذا الحقود الجاهل تاريخ الولايات المتحدة؟

وكيف يجهل أبسط الحقائق التاريخية فى تاريخ بلاده ووطنه؟! ثم كيف غابت عن رجال الدين فى أمريكا هذه الحقائق التى يعرفها أى قارئ لتاريخ أمريكا...؟

إننى لا أريد نبش القبور، لكن حين تهدر الحقائق، ويدفن

الحق فى أعماق المقابر، يصبح من الواجب كشف القناع وإزاحة الستار عن هذا الحق وعن هذه الحقائق..

لقد كان الرق نظاماً طبيعياً عند اليونان، وقد أقره فلاسفتهم جميعاً، بل إن أفلاطون اعتبره عملاً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه، وكان قاسياً فى النظام الذى سنَّه لعقاب الأرقاء فيما يسمى بالجمهورية الفاضلة التى كان يحلم بها..

ومن رآه أن الرحمة إذا وجبت بالأرقاء فليس لأنهم أناس يستحقون الرحمة؛ بل لأنهم فقراء أخساء لا يليق بالأحرار أن ينزلوا إلى عقابهم وإذائهم.

وقد اشتركت الحضارات القديمة كلها فى هذه الجريمة؛ فالقانون الرومانى - الذى لا يزال معمولاً به فى أوروبا - كان يرى الرق شيئاً طبيعياً، وكان يبيح للدائن أن يبيع مدينه إذا عجز عن الوفاء، بل كان الرومان يعدون الأسرى والسبايا وسكان البلد المفتوح ملكاً للفاتح يتصرف فيهم كيف يشاء، فله أن يقتلهم، ومن حقه أن يستعبدهم، ومن حقه أن يبيحهم.

كذلك كان النظام فى بلاد الفرنس.

وفى الهند كان القانون يُقسّم الناس إلى أربع طبقات، فى قممها البراهمة، وفى قاعها «الشودرة» أو المنبوذون.

أما عند اليهود فقد عُرِفوا بهذه النزعة الهمجية.. فهم يرون أن جميع الناس - ما عدا اليهود طبعاً - إنما خلقهم الله ليكونوا فى خدمة اليهود. وكان الإسرائيليون يسترقون جميع النساء والأطفال

فى البلد الذى يغلبونه... اما الرجال فقد كانوا يضربون رقابهم
بحد السيف ويفنونهم جميعاً كما أمرتهم الكتب التى يقدسونها.

وفى سفر التكوين: «أن حام بن نوح - وهو ابن كنعان - كان
قد أغضب أباه... لأن نوحاً سكر يوماً... ثم تعرّى وهو نائم...
فأبصره حام كذلك... فلما علم نوح بهذا بعد استيقاظه، غضب
ولعن نسله الذين هم بنو كنعان... أى العرب... أو
الفلسطينيين...!!!

وقال: ملعون كنعانُ عبدُ العبيد يكون لإخوته... وليكن
كنعان عبداً لهم...»

وبذلك تأكد الاعتراف بالرق فى كتبهم التى يرون قداستها...
وبما أن المسيح... قد جاء ليكمل الناموس... أى الشريعة
اليهودية ولم يجرى لينقضها، فقد أقرت المسيحية الرق الذى أقره
اليهود من قبل... ولم يجرى فى الإنجيل نص واحد يحرمه أو
حتى يستنكره.

بل إن بولس الرسول قال فى رسالته إلى أهل (أفيسس)
الأصحاح السادس: «أيها العبيد... أطيعوا سادتكم حسب الجسد
بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدمة العين،
كمن يرضى الناس، بل كعبيد للمسيح».

كذلك فعل القديس بطرس...

ثم جاء توماس الأكويني الذى مزج رأى الدين بالفلسفة، فلم
يعترض على الرق بل زكاه لأنه حال ضرورية.

بل نصح القديس (أريودوروس) الأرقاء ألا يطلبوا الحرية حتى لو أمرهم أسيادهم بذلك؛ لأن البقاء في العبودية يخفف عن العبد الحساب يوم القيامة، وأن المساواة التي تعنيها المسيحية ليست هنا بل في مملكة السماء. !!!

وفي معجم (لاروس) وهو معجم فرنسي كتبه أساتذة مسيحيون ورد بالنص: «لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم، فإن رجال الدين المسيحي يقرّون بصحته ويسلمون بمشروعيته، ولم يثبت مطلقاً أنهم استكروه أو طالبوا بإلغائه».

وفي قاموس الكتاب المقدس للدكتور (جورج يوسف) تأكيد لما جاء في معجم لاروس وتكرار لكل ما قاله، وما جاء فيه:

«لقد حدث منذ عشر سنوات أن قامت الكنيسة بأغرب عملية اختطاف واسترقاق... وكان لها ضجة عالمية.

فقد ثبت أن الكنيسة الكاثوليكية قامت بحملات منظمة لبيع وشراء الفتيات من ولاية كيرالا الهندية... وحين أجرى التحقيق اعترف الكاردينال بأن هذه العملية كانت تتم بعلم البابا ورعايته...».

وعندما جاء الإسلام كان الرق - كما يقول الفيلسوف الألماني (جوته) - حكمة في رأى بعض الفلاسفة.. (وضرورة).. كما يزعم الطغاة والجيابرة.. (وقدرًا) كما كان يتكلم المتحدثون باسم الدين.

فماذا فعل الإسلام؟

كان أول ما فعل أن يبطل وألغى كل أنواع الاسترقاق المعروفة في ذلك الوقت، وترثت بالنسبة لنوعين فقط من أنواع الرق .. هما: رق الحرب، ورق الوراثة.

ترثت بالنسبة لهذين النوعين فقط؛ جرياً على عادته في علاج الأمور بالتدرج خطوة خطوة ... كما فعل مع الخمر.

ثم فرض بعد ذلك على هذين النوعين من الرق كثيراً من القيود التي تقضى عليهما في نهاية الأمر.

بالنسبة لرق الوراثة؛ قرر الإسلام أن الأمة التي تلد ولدًا من سيدها يصبح هذا الولد حراً على الفور متى اعترف به السيد.

أما بالنسبة لرق الحرب؛ فقد قرر الإسلام أن أسرى الحرب بين طائفتين مسلمتين لا يُسترقون أبداً، فلا يجوز لمسلم أن يسترق مسلماً.

أما الأسرى الذي يؤسرون في حروب بين المسلمين وغير المسلمين؛ فقد قرر الإسلام: أنه لا يصح استرقاقهم .. إلا بشروط، أهمها أن تكون هذه الحرب حرباً شرعية؛ أي يجيزها الإسلام، فإذا كانت هذه الحرب مما لا يجيزه الإسلام، فلا استرقاق لأحد من المأسورين.

وحتى لو كانت هذه الحرب مما يجيزه الإسلام، وكان الطرف الآخر هو المعتدي، فإن الاسترقاق ليس شيئاً حتمياً؛ بل يجوز

للإمام أن يطلق سراح الأسير بدون فدية أو بفدية، أو نظير عمل يقوم به - كما حدث في بدر -، أو في نظير أسرى من المسلمين عند العدو.

والقرآن الكريم لم يتعرض لكلمة الاسترقاق أبداً.
﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا
الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ١٤].

وبهذا يتبين ما فعله الإسلام حيال مصادر الرق . . لقد قضى عليها جميعاً ما عدا اثنين، ثم قيد هذين الاثنين بقيود تقضى عليهما في النهاية.

يقول (فاندبرج) :

«لقد وضع الإسلام قواعد جليلة للرفيق تدل على ما كان ينطوي عليه محمد ﷺ من شعور إنساني نبيل يناقض كل المناقضة تلك الأساليب التي كانت تتخذها إلى عهد قريب شعوب تدعى أنها تمشي في طليعة الحضارة.

لهذا كان كثير من الرفيق بفضل حياة الرق في ظلال هذه المبادئ على الحرية الرومية في بلاد وأمم تسترق شعوبها بالجملة».

هذا هو موقف الأديان . . وموقف الإسلام.

فماذا فعلت أوروبا...؟



عندما اتصلت أوروبا بإفريقيا؛ كان هذا الاتصالُ مأساةً إنسانيةً
عرّضت سكان هذه القارة لليل طويل استمر خمسة قرون متوالية .
مأساة اشتركت فيها كل شعوب أوروبا، وبخاصة الأسبان
والبرتغاليين والإنجليز، كان يتم اصطياد الرقيق من سواحل إفريقيا
بعد إشعال النار في الأكواخ التي يعيشون فيها .

كان يموت في عملية القبض جماعات كثيرة . وكان ثلث
الباقين يموت أثناء عملية الشحن أثناء الرحلة؛ أما من كانوا
يموتون في المستعمرات فلا حصرَ لهم، لقد دخل مستعمرة
(جامايكا) عام ١٨٢٠ حوالي ٨٠٠,٠٠٠ (ثمانمائة ألف) مات
منهم نصف مليون في سنة واحدة! . إن بريطانيا اختطفت حوالي
ثلاثة ملايين من شواطئ إفريقيا .

وكانت القواعد التي يتجمع فيها هذا الرقيق قبل تصديره إلى
أمريكا في (ليفربول ولندن وبريستول ولانكشير)، وكانت الملكة
إليزابيث الأولى تشارك في هذه العملية، وكانت شريكة لـ (جون
هوكنز) أكبر تاجر رقيق في تاريخ العالم، وقد أنعمت عليه الملكة
بلقب سير، وجعلت شعاره رقيقاً يرفل في القيود والسلاسل! .

والشيءُ المحزن . . . لأنه لا يزال في هذا العصر من يطلق
عليهم لقب فلاسفة، ومن هؤلاء رجل اسمه (لونج)، هذا
الفيلسوف العنصري يقول في كتاب اسمه (تاريخ جامايكا) -
إحدى دولات البحر الكاريبي -

يقول هذا العنصرى المتفلسف عن الزنوج:

«إنهم غير خليقين بالحياة .. إنهم لا يزيدون عن القروء التى تتعلم لتأكل وتشرب، وإن قيمتهم لا تزيد عن قيمة أبة سلعة تباع فى الأسواق!». .

وهناك قضية مشهورة عُرِفَتْ بقضية السفينة (زرنج)، هذه السفينة سُحِنت بمجموعة من المختطفين من شواطئ إفريقيا كما رأينا ذلك فى فيلم (الجدور)، لقد حدث أن كابتن هذه السفينة وهو فى طريق عودته إلى أمريكا ألقى فى البحر بمائة وثلاثين زنجياً بحجة نقص الماء فى السفينة، وحين رُفِعت هذه القضية إلى المحكمة. (وارجو الأ) يخطر ببالكم أن رفع الأمر إلى المحكمة كان بسبب إلقائهم فى البحر .. ولكن بسبب آخر فى منتهى القسوة والهمجية ..). لقد كان تجار الرقيق ينتظرون وصول هذه الشحنة التى دفعوا ثمنها مقدماً، فكيف نقصت هذه الشحنة .. ونقص العدد ١٣٠ عبداً. ؟.

إن السبب تجارى بحث لا صلة له بالشرف ولا بكرامة الإنسان .. ولا بحقوق هذا الإنسان الأسود الذى لا يُعترف به كإنسان.

لهذا حكمت المحكمة ببراءة هذا الكابتن التوحش من تهمة إفساد البضاعة، بل كان عمله ضرورياً للحفاظ على بنية الصفقة!!!



الخطر الإسرائيلى!

إن الحرب التى تدور رحاها اليوم على الشعب الفلسطينى قد تكون آخر الدروس التى يلقيها القدر، ويلقيها العدل الإلهى على بنى الإنسان.

إن العبرانيين الذين لم يحكموا فلسطين إلا مائة وثلاثة عشر عاماً على امتداد أكثر من أربعين قرناً - يُثبتون اليوم سرايهم وباطلهم بالأسلحة المدمرة الفتاكة؛ بعد أن خدعوا العالم وحملوه على الصمت؛ بل على المشاركة فى ارتكاب جريمة القرن العشرين؛ بل جريمة كل القرون!!

والصهيونيون الفاشيون يَنسَوْنَ أو يتناسون فضل الإسلام على الجنس اليهودى كله...

فبينما كان اليهود يذوقون الهول والهوان من أوروبا المسيحية كان الإسلام يؤويهم ويهيئ لهم مكاناً آمناً فى قلب الجماعة الإسلامية.

كانت أوروبا المسيحية ترى فيهم (قتلة الرب) و(جلاّدى المسيح)، بينما كان الإسلام يرى فيهم أهل الكتاب... هم المسيحيون شركاء فيما يمنحهم المجتمع الإسلامى لأهل الكتاب من أمنٍ ورفاهية وسلام.

لم يحمل ذلك رواد الصهيونية فيما غير من أيام، كما لم

يحمل قادتهم الفاشيين اليوم على الخجل من الجرائم البشعة التي
يجترحونها في فلسطين وفي لبنان.

في كتاب ظهر في الولايات المتحدة اسمه «النبوءة والسياسة»
لؤلؤة أمريكية اسمها «جريس هالسل»؛ أي ليست عربية ولا
مسلمة. تقول هذه الكاتبة عن كاتب أمريكي اسمه «هال لندسي»
من كتاب له اسمه «آخر كرة أرضية»^(١):

«إن إسرائيل هي الخط التاريخي - أي الأساس التاريخي -
لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل. وقبل أن تقوم دولة إسرائيل لم
تكن تعرف أي شيء...!!».

واستناداً إلى هذه النبوءات فإن العالم كله سوف يتمركز في
الشرق الأوسط .. وبخاصة على إسرائيل . إن كل الأمم سوف
تضطرب .. وسوف تصبح متورطة هناك^(٢).

ثم تقول:

«إن الجيل الذي وُجد في عام ١٩٤٨م، سوف يشهد العودة
الثانية للمسيح - أي في هذه السنوات -!!! ولكن قبل هذا الحديث
علينا أن نخوض حريين:

الأولى: ضد يأجوج ومأجوج.

والثانية: في «هرمجدون».

(١) نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية - الأستاذ محمد السماك - ونشرته
جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا.

(٢) لقد انتهى كل شيء يا «لندسي»، ولم يعد هناك قلق ولا اضطراب!!

وستبدأ الحرب باتحاد العرب مع الاتحاد السوفيتي في مهاجمة
إسرائيل^(١)...!!!

«وأن عيسى المسيح سوف يضرب أولاً أولئك الذين دنسوا
مدينة القدس، ثم يضرب الجيوش المحتشدة في عاجيدو أو
هرمجدون... فلا غرابة أن يرتفع الدم إلى مستوى أجمة الخيل
مسافة ٢٠٠ ميل من القدس. وهذا الوادي سوف يُملأ بالأدوات
الحربية، والحيوانات، وجثث الرجال والدماء...»!!!

ويكتب «ليندسي» أيضاً: «إن الأمر يبدو وكأنه لا يُصدق!! إن
العقل البشري لا يستطيع أن يتوَعَّب مثل هذه الإنسانية من
الإنسان للإنسان... ومع ذلك فإن الله يمكن طبيعة الإنسان من
تحقيق ذاتها في ذلك اليوم!؟».

إن «ليندسي» لا يبدو عليه الحزن عندما يعلن أن كل مدينة في
العالم سيتم تدميرها في الحرب النووية الأخيرة.

إن القوة الشرقية وحدها سوف تُزيل ثلث سكان العالم.

ويقول (لندسي): «عندما تصل الحرب الكبرى إلى هذا
المستوى؛ بحيث يكون كل شخص تقريباً قد قُتل، تحين ساعة
اللحظة العظيمة، فينقذ المسيح الإنسانية من الاندثار الكامل...»!!!

وفي هذه الساعة سيتحول اليهود الذين ينجون من الذبح إلى
المسيحية..

(١) لقد ذهب الاتحاد السوفيتي ولم تبدأ الحرب !!!

ويقول (ليندسى): «سببقى فقط ١٤٤ ألف يهودى على قيد الحياة بعد معركة هرمجدون.. وسينحنى كل واحد منهم .. الرجل والمرأة والطفل أمام المسيح، وكمتهولين إلى المسيحية فإن كل الناضجين سوف يبدأون التبشير ببشارة المسيح!!!»
والسؤال هو:

هل يأتى المسيح لتخريب العالم، وإبادة القرى والمدن، وإزهاق أرواح الملايين من البشر من أجل أن تبقى إسرائيل - وحدها - هى سيدة العالم؟!!!

والمصيبة الكبرى أن (الكاثوليك) ممثلين فى (الفاتيكان) كان لهم من إسرائيل موقفٌ متشدد، وكان الفاتيكان يفسر النبوءات تفسيراً يخالف - شكلاً وموضوعاً - تفسيرات رجال الدين (البروتستانت) .. فأرض (الميعاد) لم تكن عند (الكاثوليك) تعنى منطقة جغرافية معينة .. بل كانت تعنى حقيقة روحية تشمل المؤمنين فى (مملكة الله) فقط.

وقد بينَّ المسيح عليه السلام أن مملكة الله ليست كياناً سياسياً يلم شمل اليهود .. وإنما هى حقيقة روحية موطنها القلب:
«ولما سأله الفريسيون: متى يأتى ملكوت الله؟ أجابهم وقال: لا يأتى ملكوت الله بمراقبة. ولا يقولون هو ذا هنا . أو هو ذا هناك + لأن ملكوت الله داخلُكم» - (لوقا: ١٧ - ٢٠).

وطبقاً للعهد الجديد؛ فإن ورثة أرض الميعاد الروحية لبسوا بنى

إسرائيل . وإنما هم جميع المؤمنين بالمسيح ؛ لأنهم نسل إبراهيم الحقيقيون .

يقول القديس بولس :

«فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم .. وحسب الموعد ورثته» .

وشعب الله المختار - في العهد الجديد - ليس جنساً بعينه هو ما يسمى بالجنس الإسرائيلي .. وإنما هو شعب عالمي عن مختلف الأجناس يجمعه الإيمان بالمسيح :

«وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولادَ الله» - (يوحنا ١ : ١٢) .

والمسيح ذاته أدان اليهود ، وقرر أنهم فقدوا امتياز الاختيار حين قال لهم :

«لو كان الله أباكم لكتنم تحبوني .. أنتم من أب هو إبليس . وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا» - (يوحنا ٨ : ٤٢) .-

كما حكم المسيح على اليهود بالجحيم بسبب إنكارهم له . وقرر أنهم لن يكونوا في الجنة مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

«وأقول لكم : إن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب ، ويتكثرون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات ، وأما بنو الملكوت اليهود فيطرحون إلى الظلمة الخارجية .. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» .. (متى : ٨ / ١١ - ١٢) .-

ولسوف يدرك العالم فى يوم قريب - بل لعله بدأ يدرك - أن الصهيونية لم تكن ولن تكون تحدياً للعرب وحدهم، بل كانت وستظل تحدياً للعالم كله، وللإنسانية جمعاء.



ولعل فريضة ما لم تَلَقَ فى التاريخ نجاحاً كهذه الفرية التى اسمُها «معاداة السامية» Antisemitism اخترعها اليهود سلاحاً يحاربون به الإنسانية فى جميع صورها. وفَسَّرُوا للعالم أن العداء لليهود هو عداء للسامية أو للجنس السامى. ونجح اليهود بصفقتهم المعهودة فى إخفاء (اليهودية) وراء هذه الكلمة التى سموها معاداة السامية، مع أن الحق - كل الحق - أن تكون (معاداة اليهودية)، ومعلوم أن الجنس السامى لا يقتصر على اليهود بل على أمم وشعوب كثيرة، أهمها الأمة العربية التى تشكل اليوم الجزء الأكبر من الجنس السامى. وقد تعامى الغرب - الذى تستعبده اليهودية العالمية - عن الحقيقة الكبرى، وهى أن الأمة العربية اليوم - وهى أصل الجنس السامى - تتعرض لعدوان اليهودية العالمية والصهيونية، ومع ذلك تنظلى على الغرب الأعمى فرية اليهود ودعواهم أنهم مضطهدون لأنهم ساميون وليس لأنهم يهود^(١).

* فاليهود كانوا يشنون الحروب على الأمم أو يتسبون فى وقوع الحرب بين الشعوب، وحينما تُكتشف أصابعهم الخفية وتشرع الشعوب فى انقاء شرهم ودرء خطرهم يصيحون: معاداة السامية...!

(١) انظر فى هذا الموضوع كتاب «خطر اليهودية العالمية» تأليف عبد الله التل صفحة ١٧٣ وما بعدها - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٤م.

* حين أضرموا نار الحروب الدينية التي التهمت ملايين
المسيحيين في أوروبا، واكتشف الناس أصابعهم فيها «صاحوا
معاداة السامية»...!

* حين أضرموا نار الحربين العالميتين الأولى والثانية وتسببوا
في قتل أكثر من ثمانين مليوناً صاح اليهود: «معاداة السامية»...!
* وحين تولت أسرة ساسون في القرن التاسع عشر (١٨٣٢ -
١٨٦٤م) تجارة الأفيون في الصين وثار أحرار البلاد صاح اليهود:
معاداة السامية...!

* حين تملل الشعب الروسي من طغيان ستة ملايين يهودي
وأخذ يحد من نفوذهم وجشعهم ومؤامرتهم صاح اليهود: معاداة
السامية...!

* حين اكتشف الإنجليز مناجم الذهب والماس في الترنسفال
بجنوب إفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر وهرع المغامرون
لاستغلالها، ثار شعب البوير السكان الأصليون فصاح اليهود:
«معاداة السامية»...!

* ثم أكرهوا الإنجليز على خوض الحرب التي قصفت أعمار
آلاف الشباب البريطانى لتأمين وصول الذهب والماس إلى خزائن
اليهود في بريطانيا، ولم تزل أغلب أسهم مناجم الذهب والماس
ملكاً لليهود.

* كلما آمن اليهود في سرقة أموال شعب من الشعوب
وامتلاك مصادر ثروته المعدنية والزراعية والتجارية، وضجَّ أحرار
ذلك الشعب صاح اليهود: معاداة السامية . . !

* كلما فضّل مواطنٌ من المواطنين قى مختلف أنحاء العالم
مصلحةً بلاده على مصلحة اليهود المستغلين الجشعين صاح
اليهود: معاداة السامية . . !

* كلما طغى إرهابُ الربا الفاحش، وتحوّل إلى سلاح مدمرٍ
يهدّد اقتصاد البلاد وحياة الشعب، وانتفض أحرار البلاد وهاجموا
الربا صاح اليهود: معاداة السامية . . !

* إذا ضج الناس من غلاء الأسعار واحتكار مواد التموين من
قبل اليهود، وإذا اختنق الشعب من ذلك الاحتكار واحتج بعض
أحرار البلاد صاح اليهود: «معاداة السامية» . . !

* إذا طالب صوتٌ حر أن تمتنع الأحزاب في بريطانيا وأمريكا
عن النزج بأصوات اليهود الانتخابية في توجيه سياسة البلاد حرصاً
على مصلحة الوطن، صاح اليهود وقالوا: معاداة السامية . . ! وتأمرُوا
على ذلك الصوت لحنقه كما حدث مع فورستال وزير الدفاع في
حكومة ترومان، الذي قتله اليهود وقالوا إنه انتحر لأنه من معتنقى
معاداة السامية . . !

* إذا عمَّ الإرهاب اليهودي جميع مرافق البلاد وروع الشعب
الآمن وتحركت بعض الأقلام الشريفة لانتقاد الأوضاع التي يخلقها
اليهود، صاح اليهود: «معاداة سامية» . . !

* إذا آمن اليهود فى الغدر والخيانة، وخاصة للبلد الذى يأويهم ويعطف عليهم ويمنحهم فرصة العيش بأمان وسلام، وإذا قال الشعب إن جميع الجواسيس ضد ذلك البلد هم من اليهود، صاح اليهود: «معاداة السامية»...!

* حين أُلقي القبض فى روسيا السوفيتية على عدد من الأطباء اليهود سنة ١٩٥٣م بتهمة قتل ضحايا بريئة بالإبر المسمومة، صاح اليهود: «معاداة سامية»...!

* حين تنشر بعض الصحف أن أطباء اليهود يجرون تجارب على بعض المرضى من غير اليهود بأن يحقنهم بخلايا سرطان حية من غير رضاهم، ويحتج المرضى ويرفع صوت استنكار لهذا العمل الوحشى الذى يساوى الإنسان بالحيوان، يصيح اليهود فى أمريكا: «معاداة السامية»...!!

عندما كُتب دستور الولايات المتحدة ألقى الزعيم الأمريكى (بنيامين فرانكلين) خطاباً مهماً فى تلك المناسبة، حذر فيه المواطنين الأمريكين من خبث اليهود وخطرهم على أمريكا فى المستقبل... وفيما يكمل نص الجزء الكامل من خطاب (فرانكلين) الخاص بخطر اليهود:

«هناك خطر كبير على الولايات المتحدة الأمريكية.. وهذا الخطر هو اليهود...!!»

أيها السادة: فى أى أرض يحل اليهود يُصيحُ المستوى الخُلُقِيّ منحطاً، والمعاملات التجارية تجري بصورة غير شريفة...!!

بقى اليهود منظوين على انفسهم، وظالمين فى معاملاتهم مع الناس، وحاولوا خنقَ مالية الدول مثلما جرى فى البرازيل، واسبانيا ..

ايها السادة: بكى اليهود مصيرهم المحزن منذ اكثر من ١٧٠٠ سنة بسبب طردهم من وطنهم الأم ... ولو أن العالم قدّم فلسطينَ إلى اليهود ملكًا لهم، فإنهم سيجدون أسبابًا قوية لعدم العودة إليها؛ لأنهم يبتزون الأموال .. ولا يستطيعون العيش بعضهم مع بعض .. ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم من الشعوب التى لا تنتمى إلى جنسهم .. وإذا لم يُطرد اليهود من الولايات المتحدة الأمريكية بموجب نصوص الدستور، فإنهم سيقدمون على بلادنا خلال المائة عام القادمة بأعداد كبيرة تؤدى إلى أن يحكموا البلاد ويديرونها، ويغيروا شكل حكومتنا .. وهى الأمور التى بذلنا نحن الأمريكين فى سبيلها دماءنا وأرواحنا، وممتلكاتنا، وحياتنا الخاصة.

وإذا لم يطرد اليهود من بلادنا خلال مائتى عام .. فإن أطفالنا سوف يعملون فى الحقول لإطعام اليهود .. بينما يقيم اليهود انفسهم فى قصورهم يفركون أيديهم فرحًا وسرورًا ... !!!

إنى أحذركم أيها السادة ... وأقول لكم:

إذا لم تُخرجوا اليهودَ من أمريكا إلى الأبد فإن أولادكم وأحفادكم سيلعنونكم فى قبوركم ... !!!

إن اليهود لا يتحلَّون بالمثل العليا التي تتحلى بها نحن
الأمريكيين . . حتى لو عاشوا بيننا طيلة عشرة أجيال . . إن
الفهد لا يستطيع أن يغيِّر لون جلده الأرقط . . إن اليهود يشكِّلون
خطراً على أمريكا إذا سُمح لهم بدخولها . . وسوف يُعرَّضون
مقوماتنا الاجتماعية للخطر . . لذلك يجب أن يخرجوا من
بلادنا. !!!





العصر الأمريكي القبيح..!

صبيحة اليوم الذى أكتب فيه هذا المقال نشرت صحيفة «مبل أن صنداي»^(١) «MAIL ON SUNDAY» خبراً فى غاية الغرابة؛ يقول هذا الخبر: «إن الولايات المتحدة لا ترحب بزيارة الأمير «تشارلز» وليّ عهد بريطانيا بسبب تصريح قال فيه: إن الحرب على العراق سوف تكون لها نتائج وخيمة على العلاقات بين الإسلام والغرب، أو بين المسيحية والإسلام.

ولهذا جن جنون البيت «الأسود» وأعلن رفضه لزيارة الأمير وعدم ترحيبه بهذه الزيارة!

الم يكن «رجاء جارودى» على حق حين قال: إن أمريكا هى طليعة الانحطاط فى هذا العصر»^(٢) !!؟

فى الأربعينيات من القرن الماضى كانت تصدر فى القاهرة مجلة اسمها «الكاتب المصرى» كان يرأس تحرير هذه المجلة المرحوم الدكتور «طه حسين» لقد قرأت فى هذه المجلة مقالاً بأقلام كتاب أمريكيين .. يقول هذا المقال:

لقد وصلت أمريكا إلى مرحلة من الحضارة الزائفة دفعت كثيراً من خيرة كتابها ومفكرها إلى أن يحاولوا تمزيق حجب الزيف

(١) الأحد ٢٩ / ١٢ / ٢٠٠٢ م.

(٢) الناشر دار الشروق فى القاهرة.

والخداع، وكشف ما وراء الظواهر البراقة من بؤس وشقاء ويأس وبكاء. وقد بلغ بعض هؤلاء الكتاب الواقعيين في وصف الحياة الأمريكية والتقد حذاً بالغاً من القسوة والازدراء.

ونظروا إليها بمنظار أسود لا تبدو فيه بارقة أمل...!

وقد أصدر الكاتب الشهير «شتاينيك» STEINBECK في وصف هذه الحياة كتابين: أحدهما: اسمه «عنايد الغضب» THE GRAPES OF WRATH. أما الكتاب الثاني فاسمه «MICE AND MEN» ومعناه «بشر وفئران».

وهناك كاتب آخر اسمه «فرنون سليفان» VERNON SULLIVAN ألف رواية يصف فيها البشاعة والخوف والقلق الذي يعيش فيه الشعب الأمريكي، وقد اختار اسماً قاسياً لهذه الرواية التي صادرتها السلطات الأمريكية. أما العنوان الذي اختاره المؤلف لهذه الرواية فهو: «سوف أبصق على قبوركم» !!! وقد اضطر الكاتب إلى الهجرة من أمريكا بسبب مطاردته من السلطات الفيدرالية، فاستقر في فرنسا ونشرت روايته في أكبر دور النشر في باريس... وكل هذا كان في منتصف الأربعينات من القرن الماضي...

لقد فقدت (الولايات المتحدة) مصداقيتها تماماً في العالمين الإسلامي والعربي - بعد انحيارها المطلق إلى إسرائيل...!!!

إسرائيل التي لا تزيد مساحتها عن مساحة أصغر محافظة في السودان أو إيران أو ليبيا، والتي لا يزيد عدد سكانها عن سكان حي واحد من أحياء القاهرة هو (حي شبرا)...

إسرائيل التي فُرِضَتْ فرضاً على المسلمين والعرب تقف وراءها أمريكا بلا تحفظ، وتنحاز إليها انحيازاً كاملاً ضد المسلمين والعرب .. المسلمون والعرب الذين يمثلون أكثر من خمسين دولة، والذين تزيد مساحة أقطارهم على أربعين مليون كيلو متر مربع، ويتحكمون في مضائق العالم من (مالقا^(١)) إلى جبل طارق) ومن قناة السويس إلى باب المندب، وتمتد حدود بلادهم من المحيط الباسفيكي (شرقاً) إلى المحيط الأطلسي (غرباً)، المسلمون والعرب الذين يملكون مصادر الطاقة الرئيسة في العالم، والذين يزيد عددهم عن ألف ومائتي مليون نسمة !؟

هؤلاء المسلمون والعرب لا قيمة لهم في نظر أمريكا .. وتنحاز ضدهم لحساب إسرائيل انحيازاً مطلقاً.

وهذا يعني بباطة أن الولايات المتحدة تشن حرباً صليبية على المسلمين في مختلف أقطار العالم .. ودون مراعاة لمشاعر رد الفعل لدى هؤلاء المسلمين الذين لن يصبروا طويلاً على هذا العدوان الذي تجاوز حدود (الصبر) كما تجاوز حدود التفكير والعقل ... ولن يتأخر كثيراً هذا اليوم الذي يرد فيه المسلمون على هذا العدوان .. يوم تقترب ساحة (الحسم) أو (يوم الحساب) والفصل.

والولايات المتحدة - كما قال: «برتراند راسل» - قبل أربعين عاماً تعيش في أزمة .. منذ أصبحت لها مخالب نووية تفرسها

(١) في ماليزيا.

فى وجه كل من يخالف سياستها او يقف فى طريقها . . كما أنها تعيش فى نشوة غرور زائفة سرعان ما تتكشف عن فراغ هائل . . عندما تجد نفسها فى فراغ جليدى تقف فيه وحدها عارية . . أو شبه عارية . . !



إن ما درجنا على تسميته «اكتشاف أمريكا»، وتصفه اليونيسكو على استحياء بـ «التقاء الثقافات»، ويحتفل به البابا «جون بول الثانى» عام ١٩٩٢م بزهو كأنه «تبشير بالإنجيل للعالم الجديد»، هو فى حقيقته عام الاحتفال بمذابح الهنود، وبداية العهد الاستعماري فى التاريخ الحديث^(١).

لكن عام ١٩٩٢م يأتى مخلداً أيضاً لذكرى مرور خمسمائة عام على سقوط غرناطة، آخر مملكة للثقافة الإسلامية فى أسبانيا، الجسر الأخير بين الشرق والغرب. ظلت قرطبة طوال ثلاثة قرون مركزاً لإشعاع العلوم والفلسفة والآداب والفنون إلى كل أوروبا. وفى عام ١٤٩٢م سلّخت قرطبة عن الثقافة العربية الإسلامية، المصدر الثالث لحضارتها، مع الثقافة اليهودية المسيحية والثقافة اليونانية الرومانية.

(١) اقرأ: ٥٠٠ عام. الغزو مستمر - د. ناعوم تشومسكى. دار الشروق - القاهرة.

فى عام ١٩٩٢م، سجلت حرب الخليج اكتمال العمل الذى بدأ فى عام ١٤٩٢م، وهو انقسام العالم إلى نصفين.

كشفت تدمير العراق فى عام ١٩٩٢م عن حرب من نوع جديد^(١)، حرب قائمة ليس فقط على استعمار دول أوروية متنافسة، مثل ما كان من إنجلترا وفرنسا، لكن على استعمار جماعى، متعدد الجنسيات متآلف تحت سيطرة الأقوى: الولايات المتحدة.

وقد حاولت الولايات المتحدة - مرة ثانية - تكرار الخطة العراقية فى مواجهة ليبيا. لكن كان يجب إيجاد ذريعة! وفى عام ١٩٨٦م حدث انفجار فى ملهى ليلى فى برلين أسفر عن مقتل جنود أمريكيين، كما وقع هجوم آخر فى مطار روما. كان هذان الحادثان كافيين لتوجيه الاتهام إلى ليبيا؛ فتمت الإغارة عليها. حاولوا اغتيال القذافى عن طريق تدمير منزله. أسفرت الغارة عن ٥٠ قتيلاً فى طرابلس. وانشع بعد تحقيقات السلطات الألمانية والإيطالية، وعرف العالم كله، أن ليبيا بعيدة تماماً عن هجمات روما وبرلين.!!



إن أمريكا لم تعد دولة. بل تحولت إلى «عصابة» مهمتها

(١) اقرأ: «الحرب الحضارية الأولى» - د. المهدي منجرة.

نقلاً عن كتاب «حقارو القبور» رجاء جارودى - الناشر دار الشروق - القاهرة.

الأولى فى العالم «صناعة القتل» وإشاعة «الهمجية والقوضى»، وإثارة «الفن والقلاقل» فى وجه كل من يقف فى طريقها أو يعارض سياستها. وأمريكا لا ترى فى الغرب والمسلمين «ما يسر الخاطر»؛ بل تحولوا فى نظرها إلى إرهابيين وقتلة، وأصبح الإسلام فى نظر أمريكا هو الخطر الأكبر.!!!

وكما يقول (ويل ديورانت)^(١): «لقد تضمن تقدمنا فى العلم والتقنية مسحة من الشر مع الخير، ولعل ألوان الراحة والفائدة التى عادت علينا أوهنت قدرتنا البدنية على الاحتمال، وأضعفت طبيعتنا الأخلاقى.

فنحن طورنا وسائل انتقالنا تطويراً هائلاً، ولكن بعضنا يستخدمها فى تسهيل الجرائم وقتل اخواننا أو قتلنا !.

وضاعفتنا سرعتنا مئتين وثلاث ومائة مرة، لكننا نحطم أعصابنا أثناء ذلك، وكأننا قردة ترتدى السراويل؛ سواء تحركنا بسرعة الفى ميل فى الساعة أو استخدمنا سيقاننا فى الحركة. ! ونحن نصفق لأدوية الطب الحديثة وجراحاته إذا لم تؤد إلى آثار جانبية أسوأ من المرض، ونعجب باجتهاد أطبائنا فى سباقهم المجنون مع مرونة الميكروبات وقدرة المرضى على الابتكار، ونشكر لعلم الطب تلك السنين الإضافية التى يمنحنا إياها إذا لم تكن إطالة مرهقة للمرض والعجز والغم !.

(١) درس من التاريخ، ويل ديورانت - الطبعة العربية د. على شلش ص ١٨٢ وما بعدها.

وقد ضاعفنا مائة مرة قدرتنا على العلم بحوادث اليوم والكوكب ونقلها إلى الغير، ولكننا أحياناً نحدد أجدادنا الذين لم يكن يعكر سلامهم تعكيراً خفيفاً سوى أخبار قرينهم.!!

وقمنا مشكورين بتحسين ظروف الحياة للعمال المهرة والطبقة الوسطى، ولكن مددنا تنقيحاً بالأحياء المظلمة التي تتكدر فيها الأقليات، والأحياء الفقيرة الموحلة القذرة.!

إننا نظرب لنحررنا من اللاهوت، ولكن هل أنشأنا أخلاقاً طبيعية - قانوناً أخلاقياً منفصلاً عن الدين - تكون من القوة بحيث تصون غرائزنا في التملك والمساكسة والجنس عن الانحطاط بحضارتنا إلى مستنقع من الطمع والجريمة والزنا؟

هل نحن كبرنا حقاً بحيث استغنيا عن التعصب، أم أننا لم نزد على تحويله من الأعمال العدائية الدينية إلى نظائرها الوطنية أو الأيديولوجية أو العرقية؟

هل تحسنت عاداتنا وتقاليدها، أم ساءت عن ذي قبل؟

لقد قال أحد الرحالة في القرن ١٩: «إن العادات والتقاليد تزداد سوءاً بصورة منتظمة كلما اتجهت من الشرق إلى الغرب، فهي سيئة في آسيا، وغير حسنة جداً في أوروبا، وسيئة تماماً في الولايات الغربية بأمريكا».

وها هو ذا الشرق اليوم يقلد الغرب، فهل أتاحت قوانيننا للمجرم حماية أكثر من اللازم ضد المجتمع والدولة؟

هل منحنا أنفسنا حرية أكبر مما يستطيع ذكاؤنا هضمه؟
أم أننا ندنو من فوضى أخلاقية واجتماعية كبيرة نجعل الآباء
المفزوعين يهرعون مرة أخرى نحو الكنيسة الأم، ويرجونها أن
تهذب أولادهم، مهما كان الثمن الذى تحمله الحرية العقلية؟
هل كان كل التقدم الذى أحرزته الفلسفة منذ ديكارت خطأ من
خلال عجزها عن الاعتراف بدور الأسطورة فى تعزية الإنسان
والسيطرة عليه؟ (لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم، والذى يزداد
علماً يزداد حزناً)؟ ١٢ .

هذا ما قاله ديورانت عن الغرب . . . وحضارة الغرب .



غارة تنصيرية جديدة على العالم الإسلامي

تحت عنوان «اللعبة الخطرة» نشرت صحيفة الأهرام المصرية هذا المقال الذى ينذر بالخطر ويهدد بلداً إسلامياً هو الجزائر.

لقد فكرتُ فى إرسال هذا المقال إلى الزعماء المسلمين فى الجزائر، غير أنى رأيتُ فى نشره فى صفحات جريدة الدعوة فائدة أكبر.

يقول الأستاذ «جمال زايدة»^(١) كاتبُ المقال: فجأة انفجرت قضية التبشير بالاديان باكتشاف عمليات تبشير واسعة بين قبائل البربر فى الجزائر، إذ أشارت المعلومات إلى أن ٦ من بربر الجزائر يتحولون يومياً إلى المسيحية، مما أدى إلى فتح الباب واسعاً لمناقشة تلك القضية باللغة التعقيد وذات التأثيرات بعيدة المدى على النسيج السياسى والاجتماعى لدول ما زالت تسعى إلى الاستقرار مثل الجزائر والسودان.

وتكمن خطورة القضية فى اتجاه عمليات التبشير إلى مجتمعات إسلامية، أو العكس، فى أنه يترتب عليها انعكاسات واسعة المدى على الحقوق المدنية للأفراد من ورائة، وزواج... إلخ، فضلاً عن حالة التوتر الاجتماعى التى توجدها هذه الظاهرة.

(١) جريدة الأهرام: ١٥ / ٤ / ٢٠٠١ م.

وكانت جماعات أمريكية وأوروبية مدعمة بأموال ضخمة قد دأبت على الاتجاه إلى منطقة الشرق الأوسط بهدف التبشير منذ سنوات طويلة، حتى أن بعضها مارس التبشير في مصر منذ القرن التاسع عشر بين أبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية نفسها؛ بهدف جذب بعض أفرادها إلى اعتناق المذاهب الكاثوليكية، أو البروتستانتية، ولذا فقد شهدت مصر نشأة بعض الكنائس الأخرى غير القبطية الأرثوذكسية منذ ذلك الوقت، ويتم طرح مسألة التحول بين الأديان السماوية أو من الوثنية إلى الأديان السماوية تحت مظلة حقوق الإنسان؛ بدعوى أن لكل إنسان الحق في التحول واعتناق ما يشاء من عقائد.

إلا أن التحفظ الأساسي في هذا المجال أن عمليات التبشير تَصَحِّبُها إغراءات مادية ومعنوية واسعة، وغالبًا ما تتجه إلى العناصر الأكثر هشاشة اجتماعيًا بفعل الفقر، والتي تعيش في المناطق العشوائية على هوامش المدن أو القرى.

وهنا تكمن الخطورة في أن عمليات التحول لا تتم وفق الإرادة الحرة الواعية، وإنما بفعل عوامل أخرى.

ويُطرح في هذا السياق البعد السياسي وراء عمليات التبشير التي تتم في العالم العربي، والذي يهدف إلى إيجاد نزاعات كبيرة بين أصحاب الديانات السماوية لزعزعة المنطقة وإثارة القلاقل فيها، وصرف الانتباه عن الحقوق المدنية والسياسية للمواطنين بشكل عام.

فى أعقاب مؤتمر «كلورادو» الذى عُقدَ فى الولايات المتحدة
والذى قرَّرَ فيه المؤتمرُ تنصيرَ جميعِ المسلمين فى العالم خلال
خمسَين سنة ١٠٠!

لم يتحرك فى العالم الإسلامى أحد ..!
وحين أعلن سكرتير عام هذا المؤتمر بأن المسلمين أصبحوا بين
خيارين فقط هما: التنصير، أو الإبادة.

لم يتحرك فى العالم الإسلامى أحد ..!
وحين أعلن الفاتيكان أن الإسلام يجب أن ينتهى من إفريقيا
فى أقرب وقت ..!

لم يتحرك فى العالم الإسلامى أحد ..!
يحدث هذا ويقع، ويقال هذا وينشر، والمسلمون نيام كأهل
الكهف، حيارى كمن خرج فجأة من القبر ..!



لقد نشرت مجلة العربى مقالاً تحت عنوان «عن التبشير بين
اللاجئين المسلمين» بقلم فهمى هويدى يقول فيه:

اللاجئون المسلمون فى العالم الآن هم أساساً ضحايا نوعين من
الكوارث: الحروب، والمجاعات، وليس هناك حصرٌ لأعدادهم،
ولكنهم يُقدَّرون بالملايين^(١) على أية حال. فإذا تابعنا مسرح تلك
الكوارث على خريطة العالم الإسلامى فسوف نجد ما يلى:

(١) عشرون مليوناً.

* بالنسبة للحروب: حرب لبنان أفرزت حوالى نصف مليون لاجئ. حرب العراق وإيران، أدت إلى تشريد مليون شخص على الجانب الإيراني. الاحتلال السوفيتى لأفغانستان، والمقاومة المسلحة له، كان من نتيجتها نزوح مليون شخص على الأقل إلى الحدود الباكستانية. حرب الحبشة وإريتريا، لا يُعرف عدد ضحاياها من اللاجئين، وإن كان عددهم لا يقل عن نصف مليون آخرين. الصدام المسلح بين الحبشة والصومال يدفع إلى العراء كل مرة بألوف اللاجئين. مقاومة المسلمين فى جنوب الفلبين تدفع إلى حدود ماليزيا وأندونيسيا بألوف أخرى فى كل موجة.

* بالنسبة للمجاعات، مسرحها الممتد بين غرب إفريقيا وشرقها حافلٌ منذ أكثر من سبع سنوات بصورة رهيبة، يُظَلَّلُ فيها شبح الموت ملايين المسلمين من موريتانيا ومالى، إلى الصومال وأوغندا، فضلاً عن مناطق المجاعات الدائمة مثل بنجلاديش، وبعض ولايات الهند ومناطق باكستان.

هذه الملايين الجائعة والمشرّدة، هى المسرح الذى تستهدفه وتنشط عليه جمعيات التبشير، وهم يقولون ذلك علناً وبمتهى الوضوح والصراحة. وقد تلقيت كتباً بهذا المعنى طُبِعَ فى كاليفورنيا، فى أغسطس ١٩٨١م، والعنوان المكتوب على غلافه هو: «الفرصة العظمى للمسيحية».

تحت العنوان خريطة للعالم الإسلامى، كُتِبَ تحتها اسمُ الجمعية

التي أصدرته وهي: «أخوة الإيمان من أجل المسلمين»، وعلى الغلاف الخلفي إشارة إلى أن لها فروعاً في كندا، وأستراليا ونيوزيلندا.

وفي نشرة تصدرها جمعية باسم «محبة العالم» تصدر في (سياتل) بالولايات المتحدة الأمريكية عشرٌ على خريطة مفصلة بمختلف أنواع الخدمات التي تقدمها الجمعية للمناطق الإسلامية الفقيرة، وهي لم تترك منطقة إلا ولها فيها موطىء قدم.

وهذه ليست إلا أمثلة لسبل الدعوات التي تبناها جمعيات التبشير، لتدعم إمكانات عملها وسط فقراء المسلمين وتعتائهم، مستثمرين «الفرصة العظمى».

وفي عدد من مجلة «نداء الكنيسة» (نشرش هيرالد CHURCH HERALD)، الصادر في ٢١ سبتمبر عام ١٩٧٩م، مقال بعنوان «أخبار طيبة من الشرق الأوسط» كتبه جون بوتين سكرتير التجمع العالمي للمبشرين في نيويورك، استهله بقوله: «في هذا العام ١٩٧٩م، تمر ٩٠ سنة على نشاط البعثات التبشيرية الكاثوليكية في الشرق الأوسط، وهذه مناسبة لاستعراض ما أنجزته تلك البعثات خلال هذه الفترة.

عن سلطنة عمان يقول كاتب المقال ما نصه: «لقد استطاع الجهد التبشيري أن يخترق الواقع الثقافي بأكثر مما كان متاحاً له في أي وقت مضى.

فالمبشرون مدُّوا خدماتهم من العاصمة مسقط إلى امتداداتها

وضواحيها حتى وصلوا إلى منطقتي «مطروح وروى». وهناك مبشرون آخرون يعملون في بلدتي «صور» و«تنام» ويقومون بزيارات منتظمة إلى «صلالة»، وبالرغم من أن أعداد المبشرين ليست كبيرة، إلا أنهم استطاعوا أن يشكّلوا خلايا للمسيحيين في تلك المناطق. وهناك اجتماعات منظمة لهذه الخلايا في المناطق الداخلية للسلطنة.

ويضيف كاتب المقال: «أنه تمت الموافقة على تقديم قطعة أرض هدية له في صلالة، من أجل أن يقام عليها «المركز المسيحي للعبادة» وأن الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية ستعاوانان في إقامة مقر متواضع على هذه الأرض»، وفي ختام التقرير يقول الكاتب لقرائه: «تذكّروا أن ذلك يحدث في بعثة لم يكن مسموحاً فيها لأى من الغرياء بالدخول حتى ١٩٧٠م، باستثناء زيارات موسمية كانت تقوم بها البعثات الطبية لجمعيات التبشير».



لا مجال للتعقيب على هذا القدر من المعلومات، التي تنطق بالكثير مما يُلْمى القلب ويجرح كرامة المسلم. لكن أود أن أنهى إلى مجموعة من النقاط:

- أ - أن المعلومات عمّا يجري داخل العالم العربى وفيرة ومثيرة، وقد أوجزت في عرضها لأسباب لا تخفى على اللبيب.
- ب - أن تلك الأنشطة التي تمارسها الجمعيات التبشيرية، لا

علاقة لها مباشرةً بنشاطات غير المسلمين الذى يعيشون كمواطنين داخل مجتماعتنا الإسلامية.

ج - أن اللاجئين وفقراء المسلمين ليسوا مطالبين بالامتناع عن التداوى أو الاكساء أو الاحتماء بالخيام التى تُقدِّمها إليهم تلك الجمعيات التبشيرية، ويُعذِّرون إذا قبلوا منهم كل شيء. ولكن المطالب حقاً بالتحرك هو الحكومات العربية والإسلامية.

د - أن التحرك المطلوب ليس مجرد إيقاف نشاطات تلك الجمعيات، ولكنه ينبغى أن يتمثل - أولاً - فى المسارعة إلى تقديم الخدمة البديلة إلى أولئك اللاجئين حتى تلبى الحد الأدنى من احتياجاتهم. وإذا تحركت المشاعر الإنسانية النبيلة لدى أى طرف من أى مكان فى العالم، ورغبت هيئة أو جمعية فى تقديم مساعداتها العينية أو النقدية، ينبغى أن تُسلم تلك المساعدات إلى مؤسسات محلية خاضعة للإشراف الوطنى؛ لتتولى توجيه المساعدات فى مسارها الطبيعى، بحيث نضمن ألا تتعرض تلك المساعدات للتبديد والنهب من قبل بعض أدوات البيروقراطية المحلية غائبة الضمير؟

إن العشرين مليون دولار التى يدفعها برنامج الخليج العربى سنوياً إلى منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، ينبغى أن توجه على الفور إلى اللاجئين المسلمين، وليكن إنفاقها تحت إشراف الأمم المتحدة^(١).

(١) المصدر السابق.

إن التقاعس العربى لم يعد يهدد دنيانا فقط ، وإنما بات يهدد
ديننا أيضاً . ١

ويا ويل المسلمين من أنفسهم إن لم يفيقوا قبل وقوع
الكارثة... وقبل أن يحيط بهم الخطر من كل ناحية .

فى عام ١٩٣١م نشرت جريدة البلاغ المصرية مقالاً لأستاذ
مسيحى مصرى^(١) : موجَّهًا كلامه إلى «المبشرين» : «عجيب أمر
هؤلاء المبشرين ؛ إنهم قوم لا دين لهم ويرتكبون أكبر الجرائم
والمنكرات التى نهاهم عنها الدين ، أنتم أيها «المبشرون» جواسيس
وخونة ، وقد جئتم إلى بلادنا لا لنشر الدين بل لإثارة الفتن
والقلاقل فى أى بلد تذهبون إليه . ولو كان المسيح بيننا لصلبكم
وتبرأ منكم . إنكم مجرمون حقاً ، ولو كنتم شرفاء كما تزعمون ،
أو تنشرون الفضائل كما تقولون ؛ لنشرتم ذلك فى بلادكم التى لم
تعد تؤمن بأى دين» !!!

إن الذى يحدث فى «جنوب السودان» أكبر شاهد على هذه
الكلمة التى كتبها الأستاذ «كليم أبو سيف» ، والذى حدث فى
(تيمور الشرقية) شاهدٌ حى على هذه الجرائم . وتوقعوا قريباً
تكرار هذه «الجرائم» فى آسيا وفى أفريقيا... !!!

«ومن عيوبنا أننا نترجح إلى توسُّد ذراعنا»^(٢) والاستسلام

(١) الأستاذ كليم أبو سيف .

(٢) نقلاً عن مقال للأستاذ الدكتور حسين مؤنس نشر فى مجلة الهلال
المصرية فى الفترة التى تولى فيها رئاسة تحرير هذه المجلة ، وكان عنوان هذا المقال
«الإسلام فى خطر» ، وقد اقتبنا منه جزءاً كبيراً فى هذا البحث .

للنوم، حاسبين أن المقادير تتولى أمورنا وتحل مشاكلنا، حاسبين أن المشاكل لا بد أن تحل نفسها مع الزمن.

وهذا العيب يتجلى بصورة أوضح فيما يتعلق بالإسلام ومصيره.. فنحن نؤكد لأنفسنا ليل نهار أن عالم الإسلام في زيادة مستمرة، وأن أعداد المسلمين في صعود مضطرد؛ لأن الإسلام كما تعودنا ينشر نفسه بنفسه، فهو دين سمح يفتح الله له قلوب الناس، وله - كما يقول المستشرق «جان سوفاجيه» - قوة انفجارية هائلة.

وفي أكثر من كتاب من كتب المهتمين بوسائل الأديان يوصف الإسلام بأنه دين مناضل.. وهذا كله حق..

ولكن الذي ليس بحق بحال من الأحوال، هو أننا نكتفى بترديد ذلك والاكتفاء به..

والى الأمس القريب كان الإسلام يشق طريقه في قوة وعزم معتمداً على فضائله التي أودعها الله فيه، وقدرته على فتح مغاليق القلوب..

وكانت هذه القوة الدافعة تثير الرعب في نفوس أعداء الإسلام؛ فعندما أنهت أوروبا سيطرتها على إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتدفقت جماعات المبشرين على القارة الإفريقية، كانوا يحسبون أن أمر الإسلام قد انتهى في إفريقيا؛ لأنهم يعرفون كيف يمحونه من مستعمراتهم محواً كما ظنوا.

ووضعت دول الاستعمار إمكاناتها في حرب الإسلام، وانهارت الأموال على هيئات التبشير، واشتدت الحرب على الإسلام في إفريقيا.. وفي أواخر القرن الماضي، تكشفت الأمور عن حقيقة أذهلت أهل الغرب كله.. ورغم كل هذه الجهود انتشر الإسلام أكثر فأكثر.. ففي أفريقيا الإدارية والاستوائية تضاعفت أعداد المسلمين بين ١٨٤٠م، ١٩٠٠م. كانوا يقولون في إحصائياتهم إن المسلمين في غرب أفريقيا السوداء يصل عددهم إلى ٢٠ مليوناً، وكان هذا تدليساً منهم؛ فإن العدد الحقيقي كان قريباً من ضعف ذلك العدد.

ولكن الأمر الذي روعهم أنهم اكتشفوا في إحصاء عملوه سنة ١٩١٢م أن أعداد المسلمين في الغرب الإفريقي جنوب الصحراء وصل إلى ٦٠ مليوناً منهم ٢٥ مليوناً في نيجيريا وحدها^(١).

وقرب نهاية عصر الاستعمار كان هناك تسليم بأن الإسلام في أفريقيا لا يُقهر.. وبدلاً من أن تتجه جهود المبشرين إلى تنصير المسلمين اتجه الاهتمام إلى ترك الإسلام يسير في طريقه وتوجيه الجهد نحو نشر المسيحية بين الإفريقيين.

ولكنهم حرصوا في نفس الوقت على وقف كل عمل من شأنه المعاونة على انتشار الإسلام، ومن هنا فقد وضعوا قيوداً على تشييد المساجد^(٢)، وأوقفوا تعليم اللغة العربية (حتى في تونس

(١) عدد المسلمين في نيجيريا تجاوز السبعين مليوناً.

(٢) في زيارتي إلى أفريقيا كنت أكتشف دائماً وجود كنائس لا حاجة إليها في مدن ليس فيها مسيحي واحد، بينما لا يوجد مسجد واحد في مدينة معظم سكانها

والجزائر)، ورفضوا الموافقة على إنشاء الجمعيات الإسلامية، وأقفلوا أبواب مستعمراتهم في وجوه المسلمين دُعاةً كانوا أم غير دعاة، ثم إنهم وضعوا قيوداً على حركة التجارة بواسطة القوافل^(١)؛ لأن قوافل التجارة لها أكبر الفضل في انتشار الإسلام في القارة الإفريقية عامةً وفي إفريقيا المدارية والاستوائية خاصةً، ثم جنوب خط الاستواء.

أما الإسلام في شرق إفريقيا جنوب السودان النيلى فقد وصل عن طريق السارون إلى البحر الأحمر وقرن الصومال.

ومن هنا وصل الإسلام إلى مجموعات القبائل الكبرى في شرق إفريقية: الشلوك، والدنكا، واللوه، واللانجو «في جنوب السودان»، وفي منطقة البحيرات وجنوبها «قبائل الماسي، والفاندي، والصومالي، والجالا، والدوندي الفياتزا والكيكويو، والتشاجا، والحدسا وما إليها».

وهذه كلها ليست قبائل، وإنما مجموعات قَبَلية، وكان الإسلام قبل عصر الاستعمار ويعدّه ينتشر فيها انتشاراً سريعاً بفضل قوافل التجارة في الغرب والوسط، ثم بفضل الهجرات العربية (وفي شرق إفريقية).

وفي نهاية عصر الاستعمار (خلال الستينيات) كان سكان إفريقيا في مجموعهم يُقدَّرُون بحوالي ٣٠٠ مليون نسمة، وعددهم في أوائل السبعينيات ٣٣٥ مليون نسمة مقسمين كما يلي:

(١) وهذا هو السبب الأول في مشكلة جنوب السودان.

| | |
|--------------------|------------------|
| شمال إفريقية | ٦٥٠٠٠٠٠٠ نسمة |
| إفريقية الوسطى | ١٠٧٠٠٠٠٠٠ نسمة |
| شرق إفريقية | ٧٢٠٠٠٠٠٠٠ نسمة |
| وسط إفريقية الغربى | ٣٥٨٠٠٠٠٠٠ نسمة |
| جنوب ووسط إفريقية | ٤٧٧٠٠٠٠٠٠ نسمة |
| مدغشقر | ٦٥٠٠٠٠٠٠٠ نسمة |
| المجموع | ٣٣٤٠٠٠٠٠٠٠٠ نسمة |

ومن مجموع سكان افريقيا كان عدد المسلمين يقارب النصف؛ أى حوالى ١٦٠ مليون مسلم بما فى ذلك مصر والسودان والمغرب وموريتانيا ومالى والصومالات وأرتيريا وهى بلاد إسلامية عربية^١.

وكانت المؤشرات تدل على أن الإسلام فى تقدم مستمر فى المناطق التى ذكرناها، وأنه فى نهاية القرن سيكون ثلثا سكان القارة مسلمين، وبهذا تنحسم معركة الصراع الدينى والفكرى الخطيرة فى إفريقية لصالح الإسلام والعروبة^(١) بالتالى .. ولكن ماذا حدث؟

لقد نشرت صحيفة هيرالد تريبيون الأمريكية -HERALD TRIBUNE فى اليوم الثامن من أغسطس سنة ١٩٨٥م تقريراً عن رحلة البابا إلى إفريقيا، وعن الأهداف الخفية فى هذه الرحلة.

(١) دكتور. حسين مؤنس: «الإسلام فى خطر».

ويقول هذا التقرير الذى كتبه لورين جينكز LOREN JINKS «يقوم البابا بولس الثانى بثالث رحلة له لأفريقيا فى غضون خمسة أعوام؛ بأمل أن يرسى قواعد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ضد النهضة الإسلامية المتزايدة فى القارة، الأمر الذى يعدّه الفاتيكان أمراً هاماً من أمور هذا القرن...» ١٢

ومن المتوقع أن يقوم البابا خلال رحلته التى تستغرق ١٢ يوماً بحث رجال الدين المسيحي بأفريقيا وأتباعهم على زيادة نشاطهم الكهنوتى فى القارة لمقاومة المد الإسلامى الجديد جنوباً ١٠٠

ووجود الإسلام الجديد أمر يشعر به الإنسان فى منطقة وسط أفريقيا من سيراليون على المحيط الأطلسى إلى السودان على البحر الأحمر.

وفى حين تحوّل الدبلوماسية والواجبات الرسمية دون السماح للبابا بأن يتحدث علناً عن موضوع النهضة الإسلامية بأفريقيا، أفصح كبار المسئولين بالفاتيكان بصورة هادئة أن مسألة اعتناق الكاثوليكية واعتناق الإسلام هى واحدة من أهم المسائل التى تهتم بها الكنيسة...!!!

وحسب ما تقوله مصادر الفاتيكان فإن واحداً من الأمور التى سيقدم عليها البابا البدء «بالرحلة الثانية» لجعل إفريقيا قارة مسيحية، وسيفتح البابا كاتدرائية جديدة فى ساحل العاج^(١)

(١) هذه الكاتدرائية تكلفت عشرات الملايين من الدولارات، والشئ الذى لا يعرفه القراء أن عدد المسلمين فى ساحل العاج فوق الستين فى المائة، وأن عدد المسيحيين حوالى ١٥ فى المائة!!!

ويعين قيسين في توجو، وبارك اجتماعاً للراهبات في زائير،
كما سيقوم بزيارة حديقة الحيوان بكينيا، ثم ينتهي جولته في
المغرب».

ويهتم البابا اهتماماً بالغاً بإفريقيا؛ لأن الكاثوليكية تنمو هناك
أكثر من أى قارة أخرى في العالم.

ويقول «جوسكين تفارو والز»، أحد المتحدثين باسم الفاتيكان:
«إن إفريقيا - شأنها شأن أمريكا اللاتينية - هي (خزان) للكاثوليكية
في المستقبل». . . ويضيف المتحدث إلى ذلك قوله: «إن كل ما
تستطيع أن تفعله أن تنظر إلى الأرقام؛ ففي عام ١٩٠١ م - في
بداية هذا القرن - كان في كل أفريقيا ١.١ مليون كاثوليكي فقط،
أى بمعدل ١٪ من سكان القارة، أما اليوم فإننا نزيد عدد
الكاثوليك في كل سنة مليونى نسمة، وهناك ٦٥ مليون كاثوليكي
في القارة، أو ١٦٪ من مجموع عدد سكانها، ونحن نتوقع أن
يزيد عددهم قبل نهاية هذا القرن إلى ١٠٠ مليون ١٩٠٠»

ومع أن منافسة الإسلام أمرٌ لا يمكن التحدث عنه علناً فإن
البابا - كما يقول أحد مصادر الفاتيكان الكبيرة - سيعالج هذه
المشكلة في بلد مثل توجو^(١) حيث يغلب المسلمون في الجزء
الشمالي من البلاد، في حين يغلب العنصر المسيحي في الجزء
الجنوبي منها، بأن يطلب من رجال الكهنوت أن يتحركوا صوب
الشمال ليبشروا بدينهم بين المسلمين !!٩٠٠

(١) الملون «أغلبية» في شمال وجنوب توجو..

إن الظاهرة الخطيرة والجديدة في مجال الحركة التنصيرية هي الاعتماد على «الإعلام»، وبخاصة بين القبائل التي لا تستقر غالباً في مكان خاص، وقد أعلن المنصرون: أن هذه الطريقة نجحت مع قبائل «القولاني» المسلمة القوية في غرب إفريقيا، هذه القبائل التي ينتسب إليها الإمام المجاهد المجدد «عثمان بن فودي»، المشهور في إفريقيا وبطل أبطال الإسلام في نيجيريا . .

وقد انتشرت الإذاعات التنصيرية بعد نجاح تجربة تنصير القولاني، وأهم هذه الإذاعات «الإذاعة الدولية» ومقرها (سوازيلاند). ورابطة إذاعات الشرق الأقصى «فيبا» ومقرها جزيرة سيشل، وراديو القاتيكان ويركز على تعليم الإنجيل والموضوعات الروحية، وتُبث بالإنجليزية والفرنسية والبرتغالية وباللغات الملجاشية، والسواحلية، والايوندية، والكثفية، واللمبيذ، والأثيوبية، والأمهرية، والثقرية، والعربية.

وإذاعة «الحب الأبدي» تُبث من منروفيا في ليبيريا، وتُرسل برامجها بـ ١٥ لغة، ولها استوديوهات في لاجوس وأبيدجان وأديس أبابا وبيروت، وإذاعة «صوت البشارة» ولها ١٢ استديو أيضاً في مختلف الأقطار العربية.

وفي الوقت الذي اجتمع فيه وزراء الإعلام للدول الإسلامية في (جدة) بالمملكة العربية السعودية، نشرت مجلة المجتمع الكويتية في عددها الصادر في ١٨ أكتوبر ١٩٨٨م، وتحت عنوان ضخم في الافتتاحية (الأقمار الصناعية في خدمة التنصير)،

وأكدت أن الأنباء المفجعة تواترت أخيراً عن موافقة (الفاتيكان) على مشروع ضخّم، تقدم به الأب الكاثوليكي (جوساني)، يتمثل في بناء محطة تليفزيونية كبيرة للبث منها، وفي جميع أنحاء العالم (للتبشير بتعاليم الإنجيل)، بواسطة ثلاثة أقمار صناعية، حيث سُمّيَ بمشروع (لومين ٢٠٠٠)، والذي يُعتبر الأول من نوعه، من حيث الحجم واتساع مساحة البث، وإمكان السيطرة إعلامياً على جميع قارات العالم، وبالاخصّوص قارتي إفريقيا وآسيا، اللتين يوجد المسلمون فيهما بشكل مكثف.

هذا المشروع التنصيري الخطير، الذي يموله ملبورير هولندي، كان ضابطاً سابقاً في الجيش، يهدف - بالدرجة الأولى - إلى تحقيق أهداف مجلس الكنائس العالمي^(١)، في تنصير المسلمين، أو على الأقل في رِعْزعة عقائدهم عن طريق البث الثقافي التليفزيوني اليومي المستمر، بلغات متعددة (للتبشير بتعاليم الإنجيل) تحت اسم (التنوير) و(التعاون) و(محرّية الجهل)، وكلها مسمّيات للتمويه على القيادات السياسية، والحكّام المسلمين.

في بداية عام ١٩٨٥م نشرت وكالة «فيدس» التابعة للفاتيكان تقريراً عن الحركة التنصيرية في الخليج.

وأشار التقرير إلى أنه لا يصرّح لرجال الدين المسيحي بالدخول إلى تلك المنطقة بما في ذلك القاصد الرسولي بأبى ظبي بصفتهم

(١) مجلس الكنائس العالمي. أنشأته أجهزة المخابرات الغربية لاستعماله كمراس حرية لإثارة القلاقل والفتن في العالم الإسلامي.

رجال دين، بل عليهم أن يبرروا وجودهم بصفاتهم فنيين لديهم عقود مع الشركات النفطية التي تعمل بوجه تنصيري.

وأضاف التقرير أن هناك مؤسسات مسيحية في منطقة الخليج تمارس أعمال التنصير من خلال عمالها الآسيويين المسيحيين، والذين يصل عددهم في البحرين وقطر وأبى ظبي إلى ألف عالم منصر...!

والشيء الغريب كما يقول التقرير: «أن أبواب المنطقة العربية أصبحت مفتوحة على مصراعيها للمنصرين» كما جاء في قول «واين شاهباز» في المؤتمر السنوي السادس للجنة.

«اتحاد الكنائس للتبشير» والذي عقد في كاليفورنيا بالولايات المتحدة سنة ١٩٨٠م حيث قال: إن الباب أصبح مفتوحاً على مصراعيه للمبشرين النصارى في العالم الإسلامي؛ فهناك ٥٠ ألف أمريكي يعملون في السعودية - البلد الذي يعتبر مغلقاً أمام المبشرين (المنصرين) - منهم كثيرون يعملون في ميدان التنصير في الحُفَاء!!!

كما ذكر الكتاب الخاص بنصارى بريطانيا أن هناك ثلاث منظمات تعمل في منطقة الخليج هي:

«جمعية مبشرى الكنيسة»، و«الاتحاد العالمى للكنائس»، و«الإنجيل والزماله الطيبة للمبشرين».

أما عدد بعثات المنظمات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية التي

تعمل في منطقة الخليج كما ذكرتها مجلة العالم التي تصدر باللغة العربية في لندن، فيبلغ ٦ جمعيات مسجلة، هي:

A.M. العالمية، وكنيسة الإصلاح في أمريكا، وكنيسة مشايخ الإنجيل، وكنيسة المشايخ في أمريكا، وبعثة التحالف الإنجيلي، والحملة الصليبية الإنجيلية عبر العالم.

وأضافت المجلة أن هناك أيضاً منظمات نصرانية تعمل في المنطقة العربية مسجلة منها: منظمة عملية التبئة، وزمالة الإيمان من أجل المسلمين، إذاعة عبر العالم، واتحاد إذاعات الشرق الأدنى، ولجان لوزان للتصير العالمي، ومركز الشباب اليافعين.

كما أن هناك حوالي ١٣٠٠ مبشر متفرغ بالشرق الأوسط ومعظمهم يديرون مراكز طبية.

وفي ظل هذه الظروف وجدَّ دعاة الغزو التنصيري الفرصة سانحة لجعل هذه المنطقة ميداناً لنشاطهم التنصيري، ساعدهم على ذلك وجود القوات الاستعمارية، وتشجيعها وساندتها لهم في الماضي، حيث كانت توفر لهم الدعم المعنوي بتربية أبناء المنطقة والأهداف الاستعمارية.

* * *

رسالة من نيويورك

اسمى أحمد عبد الله . . . سابقاً رالف دينيس Ralph Denies
 اسلمت حيث كان يجب أن أكون من الد أعداء الإسلام . . !
 فقد تعرفت على الإسلام في جامعة من أخطر الجامعات التي
 تخصصت في محاربة . . إنها جامعة «برنستون» Princeton
 المعروفة في الولايات المتحدة.

كنت مفرماً بدراسة الأديان، ومن خلال مناقشاتي مع الأساتذة
 في هذه الجامعة عرفت لماذا يحاربون الإسلام ويخططون لتدميره!
 لم يكن لهذه الحرب دافع سوى الكراهية والحقد، ولم أر فيما
 سمعتُ ورايتُ سبباً واحداً معقولاً لهذه العداء وهذه الحرب^(١).

وبوماً بعد يوم تكتُفَّت أمامي كل الحقائق . . فلم تكن
 الدراسات التي يقوم بها أساتذة ورجال اللاهوت تعتمد على دليل
 واحد مؤكَّد، كانت المهمة الأولى للدارسين في هذه الجامعة هي
 التشويه الكاذب . . والتشكيك في كل ما هو جميل وصادق . .
 وتلطيخ وجه الإسلام الناصع بالأكاذيب والافتراءات التي ينخزع
 بها الجهلاء والسذج . . لم تكن «الحقيقة» هي الهدف . . كان وراء
 هذا كله تخطيط وتآمر لغايات دنيوية «بحته»، ولإحكام قبضة
 الغرب وسيطرته على ثروات آسيا وأفريقيا.

(١) انظر في هذا أيضاً: كتاب «حوار صريح» للمؤلف.

ولما كان الإسلام يمثل فى هذه الأقطار القلعة المنبئة الوحيدة
الباقية، فقد كان من الضرورى أولاً: افتتاح هذه القلعة ..
وتدمير حصونها وأسوارها خطوة بعد خطوة .. ! لهذا أسلمت.
وتعلّمتُ اللغة العربية حباً فى هذا الإسلام. وسافرتُ من أجل
ذلك إلى أقطار عربية وإسلامية. واتصلت بالجامعات ومراكز
البحوث المتخصصة، فهالنى هذا التواكل فى مواجهة هذا الخطر،
والسلبية فى صد هذا العدوان المتريص بكل مسلمة ومسلم.

لم أجد إلا قلوباً جرداء مُقفِرة، وعقولاً خُلوة من أية معرفة
حقيقية بأهداف هذه المؤامرة، باستثناء أفراد قليلين معزولين عن
مواقع التأثير فى الحياة العامة.

فكيف بالله يدافع هؤلاء عن الإسلام بقلوب ماتت من شدة
الشراهة والطمع؟ .. وكيف يُبطلون باطلاً قبل أن يعرفوا حقيقة
هذا الباطل وما فى ترسانة أسلحته من الأباطيل والشراك
والخدع؟ .. ! ترى هل يسمعون إخوتى من المسلمين والعرب؟
وهل تُصادف هذه الصيحة قلوباً يُورّقها الشوق واللوعة إلى
التصدى لهذا العدوان قبل أن يقع.

أحمد عبد الله

New York city U.S.A.



هذا هو ما قاله وكتبه الاخ احمد عبد الله فى رسالته الى قبل
خمسة عشر عاماً.

إنها رسالة تنبض بالحب والخوف معاً .. الحب للإسلام
والخوف عليه!

الخوف عليه من المسلمين، الذين أقعدهم التواكل عن
العمل...! وأقعدهم التواكل عن اتخاذ أية احتياطات لمواجهة هذه
الغارة وهذا الخطر...!

إن الخطة التى اعتمدها مؤتمر «كلورادو» بأمريكا تحيىء فى
مرحلة من أخطر المراحل التى مر بها المسلمون والعرب. من حيث
التمزق والتفريق، ومن حيث الجهل والتأخر، حتى أنك لا تجد
دولتين مسلمتين متفتحتين على هدف واحد محدد. وإذا كان
«التنصير» لم يحقق أهدافه فيما سبق لاعتبارات خاصة بصعوبة
الاتصال فيما مضى، فإن الأمر يختلف تماماً فى هذا العصر.
حيث اقتحم التنصير آفاقاً جديدة، واستعمل وسائل تكنولوجيا
متطورة، كالأقمار الصناعية والتليفزيون. بالإضافة إلى الإذاعات
المختلفة التى تغطى أو تملأ فضاء العالم وتذيع بكل اللغات وكل
اللهجات، ويكفى أن نعلم أن فى المنطقة العربية والإفريقية أكثر
من عشرة إذاعات متخصصة فى بث المواد التنصيرية، إحداها
ملاصقة تماماً لإذاعة القرآن الكريم التى تبث إرسالها من
القاهرة...!

إن الاعتمادات المالية الكبرى لحركات التنصير تفوق فى

ميزاتها ميزانيات دول كثيرة في أفريقيا وفي آسيا!! وهذه الميزانية تقدّم في صورة خدمات تعليمية وصحية، وثقافية ورياضية تحتاجها هذه الشعوب الفقيرة التي لا يتوفر لأبنائها مثل هذه الخدمات الضرورية الملحة... (يجمع سنوياً حوالي عشرة مليارات من الدولارات لتنفيذ هذه المؤامرة)...!!!

لقد بدأ استخدام الكتاب والصحيفة والمجلة في الأعمال التنصيرية، ويكفى أن نعلم أن أكبر مؤسسة تنصيرية في مصر تقع خلف مبنى وزارة شئون الأزهر في جاردن سيتي!!! وأن أكبر مكتبة تنصيرية تقع على بعد أمتار قليلة من المبنى نفسه واسمها «مكتبة الثقافة» ولها فروع في أسبوط والمنيا وغيرها من مدن الصعيد والدلتا^(١).

وما يساعد على نجاح هذه الخطة، تقصير مؤسسات الخدمات الصحية والتعليمية في الدول النامية، فتقوم هذه المؤسسات التنصيرية بسد الفراغ في مجال الخدمات الحيوية، وكشاهد على هذا وكمثّل واحد من (مصر) ففي منطقة «الدويقة» بالقرب من الأزهر، وفي حي «الزبّالين» بمصر القديمة، وفي مؤسسة «الجدام» بالخانكة تعمل هذه المؤسسات على مرأى ومسمع من الأجهزة التنفيذية والشعبية في تنصير المسلمين جهاراً وعلناً...

(١) افتُتحت فروع لهذه المكتبة أخيراً في الأماكن الآتية: شارع الجمهورية، الترعة البولاقية، البحيرة، الإسكندرية، شارع كليوباترا بمصر الجديدة.

ومن أخطر ما جاء فى هذه الخطة التنصيرية: تحريض الكنائس المحلية على النزول إلى الساحة، والدخول فى معركة مع الإسلام والمسلمين فى كل دولة، مما يؤدى إلى قلاقل وفن تهدد أمن الوطن وسلامته، وتقضى على الاستقرار والأمن فى كل دولة وتشر الكراهية والبغضاء فى كل مدينة أو قرية^(١).

إن الحركات «التنصيرية» لا دين لها؛ إنها عصابات تعمل على نشر الإباحية وإشاعة الانحلال بين ضحاياها آياً كان دينهم أو عقيدتهم. وبخاصة إلى الفئة المسلمة. !حتى فى الجامعات الوطنية .. يعمل الأساتذة غير المسلمين على اختلاق القرض لإقامة حفلات. أو القيام برحلات تشرب فيها الخمر، وتدور فيها حلقات الرقص والطبل والزمر .. ؟!

وقد حدثنى صديق أعز بأمانته وصدقه: إن الأساتذة غير المسلمين فى إحدى جامعات الخليج دَعَوْا إلى رحلة مشتركة بين البنين والبنات، وكان من بين المشاركين فى هذه الرحلة أبناء وبنات أحد الحكام!!!

لقد كانت الخمر هى «الماء» بين أيدي الطالبات والطلبة، وحين عادوا من الرحلة ضلوا الطريق إلى قصور آبائهم - الذين أوكلوا أمور أبنائهم وبناتهم إلى هؤلاء المجرمين من الأساتذة .. !!!
فى يناير ١٩٨٩م وجه البابا «جون بول الثانى» رسالة إلى العالم يدعو فيها إلى السلام واحترام حقوق الأقليات.

(١) انظر كتابنا: رسالة إلى البابا و«الفاتيكان ذو الألف وجه» - الناشر: دار المختار الإسلامى - القاهرة.

لقد طالب البابا فى هذه الرسالة بما يأتى :

(أ) حق هذه الأقليات فى الوجود .

(ب) حق هذه الأقليات فى الحفاظ على هويتها وثقافتها .

(ج) حق هذه الأقليات فى الحرية بمختلف أنواعها .

ونحن مع البابا فى كل ما دعا إليه بدون تردد أو تحفظ ، غير
أنى أوجه إليه سؤالاً إذا اتسع صدره لهذا السؤال المؤدب :

أى أقليات تطالب بحقوقها؟ .. أهى الأقليات المسيحية؟

أم الأقليات الإسلامية؟ أم الأقليات من أى دين ومن أية علة؟

إننى أكتب ما أكتب فى الوقت الذى يتعرض فيه المسلمون -
أقلية وأكثريّة - لمذابح فى آسيا ، وفى إفريقيا ، وفى أوروبا ، وفى
كل بلد فيه للفاثيكان ومؤسساته سلطة عليا . .

لم نسمع لك صوتاً أيها البابا فيما يحدث ، ولم يصدر فيه عن
الفاثيكان رأى " تجاه المذابح الوحشية التى يقوم بها المسيحيون
الصرى . .

عندما تطلعت يوغوسلافيا إلى دويلات سارع الفاثيكان
بالاعتراف بسلوفينيا وكرواتيا ؛ لأنهم - أى الناس - فى هاتين
الجمهريتين كاثوليك ، ولكن الناس فى البوسنة و"كوسوفا"
مسلمون وهؤلاء وثنيون وكفار فى نظركم جميعاً . . وبما أنهم كفار
ووثنيون : فالقتل والذبح وهتك العرض من الأمور المطلوبة
والمقررة فى تاريخكم سلفاً . . !

لقد أقمتَ الدنيا ولم تقعدَها من أجل رجل من أرباب السوابق
انضم إلى الجيش الجمهورى فى شمال إيرلندا، فلما قُبِضَ عليه
وحوكم . . انفجر الفاتيكان ثورةً وغضباً، وحاول المستحيل مع
«مارجريت تاتشر» للإفراج عنه فوراً.

ورسالة الرحمة التى بشرَ بها المسيح وُثِدَت واندثرت ولم يعد
لها فى الفاتيكان نصير أو صديق، أو كما يقول «غريغوار حداد»
مطران بيروت: «إن تعاليم المسيح ضاعت بسبب سوء استغلال
الكنيسة لهذه التعاليم والمبادئ . . ولأن الكنيسة احتكرت المسيح
كما تحكر أية شركة تجارية صنفاً من الأصناف، وأصبح المسيح
بسبب ذلك أسير الكنائس ورهينة فى يديها، لا يوصلُ إليه إلا
براسطتها. وبما إن الكنائس أصبحت مرفوضة فقد أصبح المسيح
مرفوضاً أيضاً». وقال المطران حداد أيضاً:

«إن النظام الكنسى ذاته إذا كان يَحُولُ دون وصول المسيح إلى
الأمة كلها فعلى هذا النظام أن يَزُولَ، وعلى الكنيسة أن تموت،
وينبغى أن ترفعَ يدها عن المسيح!».

أو كما يقول إخوان القديس «بيوس»: «اللهم ارزُقنا باباً مثل
بيوس العاشر لأن يوحنا بولس الثانى بَدَّلَ دينك كما لم يبدِّله من
قبل أى بابا. . .!!»

لقد وصف أحد المفكرين الفرنسيين المسيحية المعاصرة بالدين
المشاغب!

وحين سُئل عن السر الذي يكمن وراء تعريفه المسيحية بهذا الوصف قال:

لقد علّمونا قبل ذلك أن المسيح ترك ما لقبصر لقبصر، ولم يتدخل في شئون السياسة والحكم . . غير أن الكنيسة اليوم تنازع القياصرة في كل شيء . . وتتاجر بالسلاح إذا كان السلاح هو الحل . . وتركت رسالة «الخلاص» و«الفداء» للذين يدفعون الثمن، حتى لو أدى ذلك إلى القتل!!

وأصبحت السياسة هي اللعبة المفضلة عند رجال الدين الذي يستغلون مكانتهم في الوصول إلى الحكم.



محاضرة الأمير تشارلز

لقد كان الأمير (تشارلز) «ولى عهد بريطانيا» شجاعاً و أميناً عندما وقف يقول فى محاضرته الشهيرة بجامعة أوكسفورد عن الإسلام والغرب:

قال:

«هناك سوء فهم شديد بين العالمين الإسلامى والغربى، هذا الواقع يدركه كل إنسان هنا فى بريطانيا.

وإنه من الغريب أن يستمر سوء الفهم حتى يومنا هذا، بالرغم من أن المسلمين والمسيحيين واليهود أصحاب كتاب سماوى وديانة سماوية، وأننا جميعا نشترك فى قيم واحدة، منها احترام المعرفة والعمل والرحمة والوفاء والبر بالوالدين.

لقد وقفت مبهوراً أمام كلمة «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ...»^(١) لأن مجتمعنا فى أشد الحاجة إلى هذا الوفاء والبر.

إن مناهج التعليم فى بلادنا تمجّد أبطال الحروب الصليبية؛ بينما كانت هذه الحروب تمثل عند المسلمين أقصى درجات التوحش والهمجية..

إننا ننظر إلى الإسلام من خلال بعض الفتن والأحداث التى

(١) يقصد بالآية الكريمة التى جاءت فى سورة الإسراء للبر بالوالدين الآية

يشيرها البعض كما حدث في لبنان، ومن خلال ما يُسمى بالاصولية الإسلامية.

وهذا - أيها السيدات والسادة - خطأ جسيم ..

لأن في بريطانيا نفسها تقع مثل هذه الأحداث. فهل نحكمُ على بريطانيا مثل هذا الحكم بسبب قلة مستغلة ضد العدل والقانون؟!!

إن الحكم على الشريعة الإسلامية بالقسوة حكمٌ بعيد عن الإنصاف؛ فعلينا أن نفرق بين الشريعة كنظام وقانون، وبين التطبيق الذي يخضع لأغراض سياسية لا تحترم القانون ولا الدستور.

إن الحكم على وضع المرأة في العالم الإسلامي من خلال بعض التصرفات المترتبة لا يعنى أن المرأة مظلومة أو عقهورة في مجتمعات المسلمين؛ لقد تمتعت بحقوقها في الإسلام قبل أن تتمتع به المرأة في سويسرا.

وقد أعطى الإسلام حقوقاً للمرأة لا تتمتع بها في أوروبا...! وفي العالم الإسلامي اليوم ثلاث نساء^(١) رؤساء لثلاث دول هي: باكستان، وتركيا، وبنجلاديش. وقد جئن بانتخابات ديمقراطية سليمة... فأين هو الظلم الذي يقع على المرأة؟!!

(١) كان هذا في الوقت الذي ألقى فيه هذه المحاضرة؛ فقد كان هناك في باكستان وبنجلاديش وتركيا ثلاث سيدات يرأسن الوزارة في هذه البلاد.

كما أنه لا يجوز أن ننكر على المرأة المسلمة ارتداءها الحجاب ما دام هذا من صميم دينها وتقاليدها. ١

إن علينا أن نميز بين الأصولية المتطرفة وبين (الصحة) الدينية التي تجعل المسلمين يتمسكون بقيمهم ومثلهم العليا.

إن التطرف ليس حكراً أو خاصاً بالمسلمين؛ فعلى الجانب الآخر هناك تطرف مسيحي وتطرف يهودي بنفس الدرجة.

لقد أسدى المسلمون خدمات كبرى إلى الحضارة والثقافة، لقد كان المسلمون وعلى مدى ثمانية قرون هم أساتذة العلوم والحضارة والفن والثقافة، وقد كانت (قرطبة) في القرن العاشر أكثر المدن تحضراً في أوروبا.

وقد كان الإسلام في العصور الوسطى هو المثل الأعلى للتسامح، فقد منح المسلمون اليهود والمسيحيين حقوقاً متساوية وفتحوا لهم طريق الترقى إلى المناصب في الدولة.

إن الإسلام يقدم لنا صورة متكاملة للتفاهم والتعايش بين جميع البشر، كما أن الإسلام في حقيقته وجوهره يقدم لنا تصوره الرائع للحياة والكون.



وهل يصدق أحد أو يتصور أن بريطانيا عرضت نفسها على الإسلام؟ وأن ملكها أرسل وفداً رفيع الشأن إلى خليفة المسلمين في الأندلس يطلب مساعدته لاعتناق الإسلام وتعليم القرآن...؟

غير أن هذا حدث، وفي وثيقة نشرتها منذ سنوات صحيفة «الصنداى تايمز» ويخط المؤرخ البريطاني «جبرائيل روى»...

تقول هذه القصة :

فى عام ١٢١٣م وبحركة يائسة من الملك جون لاكلاند أرسل وفداً سرياً من ثلاثة أشخاص إلى الأمير محمد الناصر، الحاكم المغربى القوى، يعرض فيها ولاءه، ويَعِدُّه بأنه سيكون - أى الملك «جون لاكلاند» - تابعاً مخلصاً، فيما إذا قبل الأمير أن تكون بريطانيا تحت الرعاية العربية، وليؤكد له أن الدخول فى الإسلام هو المخرج من ضغط المشاكل السياسية التى تلحُّ عليه . . . ١٩٠

لقد وقع بالصدفة بين يدى، النص الحرفى لما حصله الوفد، فى دورية قديمة كانت تصدر فى ذلك الوقت عن أحد الأديرة، عندما كنت أجرى أبحاثاً عن الكاهن الكاثوليكي «روبرت دى لندن» الذى كان صدرَ بحقه حرمانٌ كنسى، ونُفِيَ من بريطانيا، بسبب دوره فى ثورة «الماغنا كارتا» . . .

هذه الحلقة الواقعية المنسبة من التاريخ البريطانى، سجلها «ماتيو باريس» المؤرخ الإخبارى الدقيق لأحداث القرن الثالث عشر الذى أخذ حقائقه واستقاها من مصادرها . . .

وحسبَ ما يقول باريس، إن رجال الوفد الثلاثة كانوا مكونين من البارونين «توماى هارنجتون» و «رالف فيتزسنكولاس»، والسيد روبرت دى لندن، غير أن «بارسى» لم يقدم أى تفسير لضم الكاهن اللندنى للوفد، إلا أن السبب الأكثر ترجيحاً، هو أن الملك جون لاكلاند، عهدَ إلى السيد روبرت بإدارة شئون أبرشيته الخاصة، لذلك فهو من المقرَّبين والموثَّقين، وبالتالي فإن اشتراكه

فى الوفد يشكل ضمناً ضد البارونين؛ كى لا يمارسا عليه خداعاً
فى أثناء تأدية المهمة . .

وكان توماس هاردنجتون - رئيس الوفد - قد أعطى تعليمات
من قِبل الملك ليلبغها إلى أمير إفريقيا العظيم وأمير المغرب -
واسبانيا بأنه - أى الملك البريطانى - سيتناول طواعية وعن طيب
خاطر عن مكانته ومملكته، ويصبح تحت تصرف الأمير العظيم . .
وإذا كان يسره فإنه يضع بريطانيا أمانةً بين يديه، ويتخلى عن
الاعتقاد بالديانة المسيحية، ويتمسك ويلتزم بكل إخلاص بدين
وعقيدة محمد . . . !

ونقلت رسالة الملك جون أو تعليماته إلى الأمير بواسطة
مترجم، حيث تكلم رئيس الوفد بمهارة خطابية هائلة عن غنى
الأرض الإنجليزية، وخصوبة حقولها، ومهارة شعبها العظيم
الحاذق الخلاق، ومعرفة هذا الشعب للغات الثلاث: اللاتينية،
والفرنسية، والإنجليزية، وإتقانهم لكل مهنة عقلانية . .

وكان رد الأمير المغربى المسلم رداً حصيفاً جاء فيه :

«لم أقرأ أو أسمع قط أن ملكاً يمتلك مثل هذه البلاد المزدهرة
الخاضعة المطيعة له عن طواعية، فيقوم بتدمير سيادته واستقلاله
يجعل بلده الحر يدفع الجزية لغريب . . علماً أنها يجب أن تكون
ملكه وله وحده. ويقوم بتحويل السعادة إلى بؤس، فيسلم نفسه
لإرادة آخر، ويهدم بلده دون سبب . . »

وطلب الأمير من أعضاء الوفد ألا يمثلوا فى حضرته ثانية

ولدى عودتهم إلى بريطانيا بكى الملك جون لأن مساعيه قد أُحبطت... .

إن الملك «جون» أو «حنا» هو صاحب «الماجنا كارتا» أعظم مواثيق الحرية عند الإنجليز. وتاريخه ومسلكه لا غموض فيهما، وإعجاب الرجل بالإسلام لا ريب فيه... !

ترى أين كنا؟ وماذا صنعنا... ؟

لقد كانت أوروبا في القرون الوسطى غاصّة بالغابات الكثيفة، متأخرة في زراعتها، وتبعث من المستنقعات الكثيرة في أرباض المدن روائح قاتلة، تجتاح الناس وتحصدهم، وكانت البيوت في باريس ولندن تُبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب «كبيوت القرى عندنا منذ نصف قرن»، ولم يكن فيها منافذ ولا غرف نظيفة، وكانت البُط مجهولة عندهم، لا بساط لهم غير القش ينشرونه على الأرض، ولم يكونوا يعرفون النظافة، ويلقون بأحشاء الحيوانات وأقذار المطابخ أمام بيوتهم، فتصاعد منها روائح مزعجة، وكانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة تضم الرجال والنساء والأطفال، وكثيراً ما كانوا يؤوون معهم الحيوانات الداجنة، وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف، يجعل مخدة أو وسادة، ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط ولا مصابيح، ولم تكن أكبر مدينة في أوروبا تضم أكثر من خمسة وعشرين ألفاً^(١).

(١) من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي. طبعة بيروت ١٣٨٠ هـ.

هكذا كان الغربُ في القرون الوسطى حتى القرن الحادى عشر
فما بعده باعتراف مؤرخيهم أنفسهم .

لهذا كتبَ الملكُ جورجُ الثانى ملكَ إنجلترا رسالةً إلى الخليفة
«هشام الثالث» حملتها بعثة من الطالبات الإنجليزيات، وجعل ابنه
أخيه الأميرة «دويانت» أميرةً عليها، وهذا نص الرسالة :

من جورج الثانى ملك إنجلترا، والغال فرنسا، والسويد
والنرويج، إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب
العظمة «هشام الثالث» الجليل المقام :

بعد التعظيم والتوقير : فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى
تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة،
فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة
فى اقتناء أثر منه، لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يحيط بها
الجهل من أركانها الأربعة، وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة
«دويانت» على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز لتتشرف بلثم
أهداب العرش والتماس العطف؛ لتكون مع زميلاتنا موضع عناية
عظمتك وحماية الخاشية الكريمة، وهن من لون اللواتى سيوفرن
على تعليمهن، وقد زودت الأمير الصغيرة بهدية متواضعة لمقامك
الكريم، أرجو التفضل بقبولها مع التعظيم، وأحب الخالص . .

من خادمتكم المطيع

جورج الثانى



وقد بعث إليه الخليفة المسلم بهذا الرد:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه سيد

المرسلين وبعد:

فإلى ملك إنجلترا الأجلّ . . لقد اطلعت على التماسكم،

فوافقت بعد استشارة مَنْ يعينهم الأمر على طلبكم، وعليه فإننا

نُعلمكم بأنه سينفّق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة

على مودتنا لشخصكم الملكي. . .!!!»

هشام الثالث

خليفة المسلمين في الأندلس



كلمة حق...!!!

أَلُمْتُ بِالْإِنْسَانِيَةِ كَارِثَةً قَدْ تَكُونُ أَكْثَرُ الْكَوَارِثِ شَوْماً فِي الْعَصْرِ
الْوَسِيطِ كُلِّهِ. وَقَدْ غَرِقَ فِيهَا الْعَالَمُ الْغَرْبِيُّ، طَوَالَ ثَمَانِيَةِ قُرُونٍ،
فِي مَهَاوِي بَرَبَرِيَةٍ كَانَتْ عَصْرُ النُّهْضَةِ قَدْ بَدَأَ يَبْدُدهَا، وَالتَّتِي قُوَاهَا
عَصْرُ الْإِصْلَاحِ مِنْ جَدِيدٍ. هَذِهِ الْكَارِثَةُ الَّتِي أَكْرَهَ حَتَّى ذِكْرَهَا؛
هِيَ الْإِنْتِصَارُ الْمُقْبِتُ الَّذِي أَحْرَزَهُ قُرْبُ «بَوَاتِيه»، مُنَوَّحِشُو
الْهَارْكَاسِ مِنْ مُحَارِبِي الْفِرَانْكِ بِقِيَادَةِ الْكَارُولَنْجِي «شَارْلُ مَارْتِل»
عَلَى الْكُتَاتِبِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْبَرَبَرِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَعْرِفِ الْقَائِدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
أَنْ يَحْشِدهَا بِمَا يَكْفِي، فَتَرَاوَعَتْ وَقُشِلَتْ، لَقَدْ تَقَهَّقَتْ الْمَدِينَةُ فِي
هَذَا الْيَوْمِ الْمَشْهُورِ ثَمَانِيَةَ عَامٍ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يَكْفِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ
قَدْ شَهِدَ حَدَائِقَ الْأَنْدَلُسِ، أَوْ الْبَقَايَا الْمَدْهُشَةَ لِعَوَاصِمِ السَّحَرِ
وَالْحُلُمِ أَشْبِيلِيَّةٍ، غَرْنَاطَةَ، قَرْطَبَةَ، طَلِيْطَلَةَ، لَكِي يَسْتَشْفِ فِي دَوَارِ
مَعْجَزٍ مَا كَانَتْ قَدْ آلَتْ إِلَيْهِ فَرَنْسَا، وَقَدْ خَلَصَهَا الْإِسْلَامُ الْخَازِقُ،
الْفِيلَسُوفُ، السَّالِمُ السَّمْحُ، مِنْ أَهْوَالٍ لَا تَسْمَى، اجْتَاوَحَتْ عَلَى
الْأَثَرِ بِلَادَ الْغَالِ الْقَدِيمَةِ، الَّتِي خَضَعَتْ بِأَدَى الْأَمْرِ لِلْعَصَابَاتِ
الْأَوْسْتَرَاكِزِيَّةِ الْمُتَوَحَّشَةِ، ثُمَّ جُزِّمَتْ وَمُرِّمَتْ وَأُغْرِقَتْ فِي الدَّمَاءِ
وَالدَّمُوعِ، وَأَفْرَغَتْهَا مِنَ الرِّجَالِ الْخُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ، وَأَتَخَمَتْ
بِالْجِشْتِ مِنْ جَرَءِ حُرُوبٍ كَثِيرَةٍ أَهْلِيَّةٍ وَأَجْنَبِيَّةٍ، فِي حِينٍ كَانَ الْعَالَمُ
الْإِسْلَامِيُّ، مِنَ الْوَادِي الْكَبِيرِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ يَنْمُو وَيَنْتَصِرُ بِسَلَامٍ،
زَمَنَ الْأُمَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ وَالسَّلَاجِقَةَ. سَأْسَأُ فِيمَا بَعْدَ هَؤُلَاءِ

الفرنسيين: ماذا يفكرون في انتصارنا عام ٧٣٢ على المسلمين؟
وعمّا إذا كانوا يحكمون معي أن هذا الانتكاس الذي أصاب شعباً
متمدناً على يد شعب بربري، كان بالنسبة للإنسانية جمعاء مصيبة
كبرى؟ ...

كلود فارير

عالم فرنسي، عضو الأكاديمية الفرنسية

* * *

الغروب فى طريقه إلى الموت !!!

ليس هذا العنوان من عندى . . بل استعرت هذا العنوان من كاتب أمريكى ألف كتاباً يحمل هذا الاسم؛ اسم الكتاب «موت الغرب» «THE DEATH OF THE WEST»، أما مؤلف هذا الكتاب فاسمه بيوكانن «PATRICK BUCHANAN» وهذا الرجل يتمتع بمنزلة رفيعة عند الشعب الأمريكى؛ فقد رشح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة مرتين ولم يكتب له النجاح والقور؛ لأنه رشح نفسه مستقلاً عن الحزبين الجمهورى والديمقراطى اللذين يحتكران السلطة والحكم فى أمريكا.

وقد صدر هذا الكتاب فى أعقاب اليوم الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م. حيث دفعته هذه الأحداث لإصدار هذا الكتاب «لأن الحضارة الغربية» - كما يقول - تمر بمرحلة أفول وانحيار. ينطبق هذا الكلام على أمريكا، كما ينطبق على أوروبا. إن الأجراس تدق مؤذنة بقاء الغرب. ويبدو أنه لا راد لهذا القضاء المحتوم، لكن لماذا؟ لسبب يبدو غريباً جداً فى نظر شعوب العالم الثالث. !

يقول المؤلف: «إن جملة من الأخطار تحدق بالولايات المتحدة وأوروبا، وقد بدأت هذه الأخطار تنخر كالسوس فى جسم أوروبا وأمريكا؛ فأبناء الحضارة الغربية يتتحرون ولكن فى بطاء؛ فنسبة

المواليد تنخفض بنسبة كبيرة يوماً بعد يوم، بينما تندفق على أوروبا وأمريكا موجات عاتية من المهاجرين من العالم الثالث. وبخاصة من العالم الإسلامي الذي يتمتع أبناؤه بنسبة عالية من الخصوبة المدمرة للبناء الاجتماعي في أوروبا وأمريكا . . . !!

ويقول المؤلف:

في عام ١٩٦٠م كان العدد الرسمي للأوروبيين والأمريكيين والنيوزيلانديين والكنديين والأستراليين حوالي سبعمائة وخمسين مليوناً؛ أي ما كان يعادل ربع السكان في العالم في هذا الوقت، أما الآن وفي الوقت الذي تضاعف فيه سكان العالم إلى ستة بلايين، ترقف الأوروبيون عن الإنجاب والتكاثر. ويشهد تعداد السكان من أصل أوروبي في أمريكا وأوروبا هبوطاً ملحوظاً.

ووفقاً لإحصاءات أعدها مكتب الإحصاء في الأمم المتحدة سوف ينخفض عدد هؤلاء السكان المنحدرين من أصل أوروبي من ٧٢٨ مليون نسمة الآن إلى ٦٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٥٠م. إن الوضع السكاني في ١٧ دولة أوروبية ينذر بالخطر الشديد؛ فبحلول عام ٢٠٥٠م سوف تفقد ألمانيا ٢٣ مليون نسمة من سكانها، وسوف تتحول إيطاليا إلى حديقة متحفية؛ فسوف ينخفض سكانها في نفس الفترة بمقدار ١٧ مليون نسمة. أما روسيا فسوف تشهد اضمحلالاً سكانياً شديداً: من ١٤٧ مليون نسمة الآن إلى ١١٤ مليوناً عام ٢٠٥٠م، ولعل ذلك كان وراء

دعوة فلاديمير زيرونوسكى، وهو من اليمين الروسى المتطرف،
إلى إباحة تعدد الزوجات فى روسيا بمعدل ٥ زوجات لكل رجل !!!

* * *

إن إسقاط «الاتحاد السوفيتى» لم يكن الهدف منه القضاء على
«الشيوعية» فحسب؛ بل كان الهدف الأول والأكبر كما يقول
الرئيس الأمريكى الأسبق «ريتشارد نيكسون» هو منع سقوط هذا
الاتحاد فى أيدي المسلمين الذين كانوا يتكاثرون داخل هذا الاتحاد
بنسبة ثلاثة من المسلمين لكل واحد من الجنس الروسى أو
السلافى، ومعنى هذه الزيادة كما قال «نيكسون» أن يتحول الاتحاد
السوفيتى إلى اتحاد إسلامى، مما يعنى سقوط «الترسانة» النووية
السوفيتية فى أيدي المسلمين، وهذا ما لا نسمح به أمريكا ولا
الغرب أبداً... !!

مَنْ كان يتخيل هذا التداعى السريع المتلاحق للأحداث فى
العالم: سقوط الشيوعية وانهارها فى دول أوروبا الشرقية،
وسقوط حائط برلين، واتحاد شطرى ألمانيا، مَنْ كان يتصور سقوط
الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى، وتفكك هذا الاتحاد إلى
جمهوريات مستقلة، واختفاء القوة الثانية فى العالم، ومن يتصور
الآن النهاية المحتومة للولايات المتحدة الأمريكية؟

منذ ٧٠ عاماً نشر «أوزوالد شبنجلر» بين مثقفى أوروبا نظرية

تقول إن الحضارة الأوروبية - وقد بلغت يومئذ أوجها - قد وصلت إلى القمة التي لا بد بعدها من التراجع .

وعندما سُئل «شبنجلر» منذ ٧٠ سنة: متى تتوقع أن تتحقق نبوءتك؟ قال: قريباً، ولما تنبأ «أرنولد تويني» منذ نصف وخمسين عاماً أن العالم ستحكمه قوى روحية نابعة من الشرق لم يصدقه أحد يومذاك، وما زالوا غير مصدقين لتوقعاته...!!!

يقول الدكتور «محمد صبور»: إن علماء التاريخ يرجعون سقوط الدولة الرومانية إلى أربعة عوامل:
(١) إصابات الزمن، وأحداث الطبيعة.

(٢) عدوان البرابرة، وهجوم المسيحيين على الدولة.

(٣) الإفراط في استخدام الموارد وسوء استخدامها.

(٤) الخلافات الداخلية والصراع بين الرومان أنفسهم.

ويرى المحللون المدققون أن السبب الرابع - وهو الصراعات الداخلية - هو أهم هذه العوامل وأثرها. ولو أن الأمم تميل إلى الاعتقاد بأن ثلثي هذه العوامل (الهجوم الخارجي) هو السبب المباشر.

وقد بدأ المجتمع الأمريكي يشعر بعوامل الضعف، وتسلل إلى مثقفيه إدراك بأن ما يهددهم حقاً هو الانحلال من الداخل.

إن الجريمة في المدن الأمريكية تزداد انتشاراً وعنفاً سنة بعد

سنة، والمخدرات تنتشر بين كافة قطاعات المجتمع، لا تفرق بين طبقة وأخرى.

ينتشر الشعور في كل أنحاء أمريكا - بطولها وعرضها - أن الحياة صارت جديرةً بالازدراء، وباهظة التكاليف، وغير آمنة، وأن البلاد تعدت المرحلة التي يعتبرها «شبنجلر وتوينبي» - والمؤمنون بتوقعاتهما - مرحلة النضوج.

ويشير المفكر الصحفي «اليسر كوك» إلى ظهور قرينتين تشيرانه إلى اقتراب الكارثة:

(١) التحلل من كافة القيم.

(٢) عدم تمكن القانون والمحاكم من كبح جماح الانحدار السريع في السلوك العام والقيم، ووصولها إلى مستوى المسؤولين عن الحفاظ عليها ورعايتها، ويتوقع أنه إذا وصلت البلاد لنقطة اللاعودة فهناك أحد احتمالين ثلاثة:

(١) حرب أهلية تُسعلها هيئة محلية أو عرقية أو اجتماعية أو دينية أو جميعها.

(٢) ظهور ديكتاتور جبار يحكم البلاد بالحديد والنار رافعاً راية الحرية ومنتشداً بها.

(٣) عودة سريعة إلى نظام اشتراكي يقوم بتقريب الفوارق بين الطبقات التي يزداد فيها الغنى غنى والفقير فقراً، مشابهاً للنظام الذي جاء به «فرانكلين روزفلت» منذ ما يزيد على نصف قرن.

إن العنف ينتشر كالوباء في أوروبا وأمريكا، والجرائم تقع كل يوم بسبب وبغير سبب في مختلف أقطار الدنيا^(١).

يقول الأب «يلى غراهام» - وهو من أشهر رجال الدين في أمريكا في كتابه (العالم يحترق):

* لقد ضربت المواليد غير الشرعية رقماً قياسياً، وانتشرت الأمراض التناسلية بشكل وبائي مريع في الأمة بأسرها.

* نتيجةً لنسبة الطلاق والانفصال والهجر المتزايد يعيش نحو اثنا عشر مليوناً من خمسة وأربعين مليون طفل في الولايات المتحدة الأمريكية، بعيداً عن والديهم أو أحد والديهم على الأقل.

* كل صفحة من صفحات جرائدنا اليومية تبين بوضوح الانحلال الخلقي والروحي.

* كم هو مُحزنٌ وساخرٌ أن الحضارة التي أنتجت أفضل السيارات وأفضل البرادات، وأفضل أجهزة التلفزة، أنتجت في الوقت ذاته أسوأ البشر!!

* في تقرير عن الصحة العامة بالولايات المتحدة، يقاسى ٨ ملايين شخص من نوع أو آخر من الأمراض العقلية، يعالج من هذا العدد مليون شخص كل عام، ويشغل المرضى الذين يقاسون من بعض الأمراض العقلية أو النفسية ما يربو على ٥٠ ٪ من مستشفيات الأمة.

(١) الغرب والعالم. كافين رايلي، ج ١ ص ١٧٥ - الطبعة العربية.

* المُسكِرات أصبحت الآن كارثة قومية.

* كل ليلة تُبتلع ملايين الحبوب المنومة لمساعدة الشعب على النوم، وهذه المنومات والمسكنات تهددنا في النهار، وملايين من الأقراص المنبهة توقظنا في الصباح بعد أن تنتهي الأشياء التي تهددنا في الليل!!!.

* هناك إشارة مناسبة لحيرة الإنسان اليوم، هي تلك الإشارة التي نراها على النافذة الخلفية لكل سيارة: «لا تتبعني فإن ضائع»!!!

تقول مجلة تايم (TIME):

* قبل نهاية هذا القرن (١٩٩٨م) سيكون في الولايات المتحدة عشرة ملايين مواطن مصابين بالإيدز.

* وفي مجلة «تايم» الصادرة يوم ٩ ديسمبر ١٩٨٩م تقول هذه المجلة تحت عنوان (أطفال يحملن أطفالاً):

«في كل عام تحمل أكثر من مليون بنت أمريكية مراهقة»
- المراهقات فقط - وبين كل خمس منهن تحمل أربع منهن
سفاحاً..!!

وفي تقرير لابنة الرئيس السابق ريجان واسمها (مورين): أن
في الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة عشر مليوناً من الأطفال لا آباء
لهم!!

* وفي مجلة (تايم) العدد رقم ٣٣ لسنة ١٩٩١م تقول المجلة:

«إن عدد المصابين بالشذوذ الجنسي من بين أفراد القوات المسلحة الأمريكية يتراوح بين مائة ألف ومائتي ألف من الجنسين» !!!
وفي الولايات المتحدة تقع جريمة في كل خمس ثوانٍ . . وفي كثير من المدن لا يخرج أحد من بيته بعد غروب الشمس خشية السرقة أو القتل.

* وفي العدد نفسه وفي صفحة ٤٣ تقول المجلة:

«إن عدداً كبيراً من الكرادلة - من كبار رجال الكنيسة الكاثوليك - يمارسون الشذوذ الجنسي فيما بينهم» . . . !!!

* وفي هولندا . . عقدت الكنيسة عقدَ زواج رجلٍ برجلٍ ما دام هذا يحقق السعادة لكل منهما!!!

* وفي تقرير لصحيفة (الديلي ميل) البريطانية: أن الإحصائيات تشير إلى أن ٨٠٪ من الرهبان يمارسون الزنا، وأن ٤٠٪ منهم شواذ. !

* وفي صحيفة (وول ستريت جورنال) بعددها الصادر يوم ١٧ إبريل ١٩٩٣م كتبت هذه الصحيفة تقول:

«إن إحدى السيدات ارتكبت ١٥٥ جريمة جنسية، وكان من بين ضحاياها عشرون طفلاً في روضة أطفال تابعة لإحدى الكنائس» . . . !!!

وكان مبنى روضة الأطفال يقع في الكنيسة نفسها التي نادراً ما تخلو من المصلّين . . وقد أصدرت المحكمة حكماً يقضى بسجن السيدة مدة ٤٧ عاماً.

وفي الولايات المتحدة يوجد ٢٥,٠٠٠,٠٠٠ (خمسة وعشرون مليوناً) من مدمنى المخدرات، بلغ ما ينفقونه في العام الواحد ١٨٥,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (مائة وخمسة وثمانين ملياراً) من الدولارات!

وتشير تقارير منظمة الصحة العالمية لهذا العام^(١) إلى أن معدلات الحوادث في الولايات المتحدة في تزايد مستمر على مدى الـ ٣٠ عاماً الماضية، والمعدل المرتفع لحوادث القتل في أمريكا الذي يصل إلى اضعاف الدول الغربية الأخرى يجعل واشنطن تفوز بلقب «عاصمة القتل في العالم»!!

(١) سنة ١٩٩٨ م.



الفراغ الوحيد الذي يعيشه الغرب

يقول الدكتور عبد الحليم محمود^(١): شيخ الأزهر الأسبق: قبل خمسين عاماً زارني أحد الأساتذة الأمريكيين، فأخذته إلى الجامع الأزهر، وبينما نحن ننقل من رواق إلى آخر سألني عن (لجنة الفتوى)، فحدثت هذا الأمريكي عن لجنة الفتوى، ورسالتها، فرغب في زيارتها والتعرف على أعضائها.

دخلنا القاعة فكان فيها المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم^(٢)، والمرحوم الشيخ محمد العناني؛ وبعد التعارف والتحية خاطب العالم الأمريكي فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم قائلاً:

«إن الغرب الآن في حالة روحية قلقة، ومن الممكن أن يتجه إلى الإسلام، ولكن من المحتمل أن يتجه إلى صوفيه الهند، فهل أعدّ الأزهر عدته لتوجيه الغرب نحو الإسلام؟» وكان السؤال مفاجئاً أو مربكاً.

ولكن فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم أجاب وفي أسلوب دبلوماسي لبق:

«إننا بصدد الدراسة والبحث...» !

(١) أوروبا والإسلام. الدكتور عبد الحليم محمود - صفحة ٢١٨

وانظر في ذلك أيضاً: كتابنا (حتى لا نخدع) صفحة ٢٣٨.

(٢) شيخ الأزهر الأسبق.

وفى لقاء بين أحد المحررين فى صحيفة الأهرام وبين مجموعة من الأوروبيين والأمريكان الذين حضروا إلى مصر، سألهم عن السبب الذى دعاهم لرفض المسيحية، واعتناق عبادة فرعونية قديمة...؟

فقالوا:

«وماذا صنعت لنا دياناتنا القديمة سوى الخراب والدمار والحروب والموت؟

لقد كفرنا بكل شيء... طَلَّقنا ديانات الآباء والأجداد التى فشلت فى زرع السلام والخير...»

لقد ضَلَّتْ سَطْرانا فى كل دروب الأرض، ولم نجد هذا السلام وهذا الخير إلا عند آلهتكم القديمة، وإخنا تون... ورع!!
ويقول المحرر:

«سألتُ كل الرجال والنساء الذين أجريت معهم هذا الحوار عن السر فى هذا التحول، فاتفقت إجاباتهم جميعاً على أنهم وجدوا فى عبادة آلهة المصريين القدماء راحة نفسية لم يجدوها فى الكتيبة أو المعبد»^(١)!!



(١) عزت السعدنى - الأهرام ١٢/٧ / ١٩٨٣ م.

وفى الطائرة المصرية المتجهة إلى «زيورخ» دار هذا الحوار بين
استاذ مصرى وشاب سويسرى:

قال المستر «توماس» وهو اسم الشاب السويسرى:
إننى أنا وكثيرين غيرى لم نعد نفهم لهذه الحياة هدفاً أو معنى .
قلت له: ألسنتَ مسيحياً؟

فقال الشاب: نحن لم نعد مسيحيين فى سويسرا!

قلت له: ولماذا لا تعودون إلى المسيحية؟

قال الشاب: ظننتُ أنك ستدعونى إلى الإسلام...؟!

قلت له: أتمنى أن تعرف أوروبا الإسلام معرفة صحيحة وأن
تعتنقه.

قال الشاب: أنا أؤمن بالمسيح .. ولكن كتنبى فقط .. لا كإله
.. وأظنكم تؤمنون به هكذا.

قلت له: هو نبى كريم حقاً، وليس إلهاً، ولا ابنَ إله.

فقال الشاب: أنا لا أفكر فى شىء سوى الانتحار ..
والتخلص من هذه الحياة التى لم أعد أثق فيها بأحدٍ أبداً. !!!

* * *

وفى أمريكا عثر على بقايا عظام وجثث آدمية فى مدينة (سانتا
مونیکا) فى ظروف غريبة محيرة .. إلا أن المحققين اكتشفوا سر

هذه العظام والجثث بعد تحريات دقيقة واسعة . . وقد تبين من هذه التحريات:

أن هذه العظام وهذه الجثث كانت بقايا (قدّاس)، أقامه عبدة الشيطان في مدينة (سانتا مونيكا) . . !

كما أكدت هذه التحريات أن عمليات القتل تمت بعد القيام بأعمال جنسية فاضحة ومخجلة . . !!

كما تبين أن هذه الطقوس الشيطانية تقام في أجزاء عديدة من الولايات المتحدة . .

وسرعان ما كشفت التحقيقات عن شخص اسمه (انطون لافى) وصفته وكالات الأنباء بأنه كبير كهنة الشيطان، أو كبير كهنة جهنم . . !!

في حين يطلق عليه أتباعه اسم «بابا أمريكا الأسود» . . !!
وقد أسس هذا الكاهن الجهنمي كنيسة، أطلق عليها اسم «كنيسة الشيطان». كما قسم أتباعه إلى أربع درجات؛ بدءاً من الأدنى إلى الأعلى حسب النظام الكنسى المعمول به فى بقية الكنائس الأخرى:

الدرجة الأولى: درجة (تابع) وتُطلق على المنخرط الجديد فى سلك (الشيطنة) . . !

الدرجة الثانية: درجة ساحر أو محارب، وتطلق على النشطين فى الدفاع عن (كبير كهنة جهنم) . . !!

الدرجة الثالثة: درجة كاهن أو كاهنة، وتُطلق على من يُثبت براعة أو تفوقاً فى خدمة الشيطان الأكبر . .

الدرجة الرابعة: درجة (كاهن المعبد) أو (كاهنة المعبد)، وهي تعادل درجة «الأسقف» أو «المطران»، وتلي الدرجة التي يمثلها «كبير كهنة جهنم» (١) . . . !

* * *

وقد نشرت مجلة (نيوزويك) NEWS WEEK (٢) تحقيقًا مذهلاً عن عدد الطوائف التي بدأت تنتشر على نطاق واسع في أمريكا وأوروبا، لقد انتهى دور (الكنيسة) ولا أقول الدين في مجتمع الحضارة الغربية. أما لماذا؟ فالأسباب أكثر من أن تُعدّ، فالفساد تجاوزَ حدودَ المنطق والعقل. غير أن الأهم من هذا كله كما يقول (الفيلسوف) البريطاني (برتراند راسل): «إن المسيحية الحاضرة ليس لها صلة بالمسيح أصلاً . . . وإن أول وأنجز مسيحي حقيقي مات قبل تسعة عشر قرنًا».

وقد ألّف حول هذه القضية كتابًا سماه:

«لماذا أنا لست مسيحيًا» (٣) «WHY I AM NOT CHRISTIAN».

إن الفراغ هائل . . . والطريق أمام الإسلام سالكة وواسعة . . .

(١) انظر في هذا - حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح - للؤلؤف - الدار السعودية.

(٢) ٦ يناير سنة ١٩٨٤م.

(٣) نشر دار ماكميلان للنشر - لندن.

ولكن أين الدعاة . . ؟؟ أين المخلصون المتجددون في دعوتهم إلى الله . . ؟

منذ حوالي خمسين عاماً . . التقى علامة الهند مولانا عبد العليم الصديقي رحمة الله عليه في مدينة نيروبي عاصمة «كينيا» بالمفكر البريطاني الراحل (جورج برنارد شو) G.B.SHAW : ودار بينهما حوار طويل عن الإسلام وقضايا الإنسان ومشكلاته في هذا العصر^(١). خرج منه - أى من هذا الحوار - جورج برنارد شو مقتنعاً تمام الاقتناع بالدور الحضارى والإنسانى الذى يمكن أن يقدمه الإسلام إلى الإنسانية التائهة في سراييب الظلمات والتسلط والقهر . .

وقد رار - برنارد شو - بعد ذلك أقطاراً إسلامية كثيرة في أدنى الشرق وفي أقصى الشرق. وحين سُئل عن انطباعاته حول هذه الرحلة قال:

«لقد تعرّفتُ على الإسلام بصورة لم تُتاحْ لى من قبل، وقرأتُ معانى القرآن كما ترجمها المسلم البريطاني (محمد مارمادوك)، فرأيتُ العظمة والجلال في هذا الكتاب، الذى يرتقى بقرائه إلى أرقى درجات الكمال والعقل.

ولو كان للإسلام دعاة على مستوى هذا الكتاب، ومستوى هذا الدين، لأسلمت أوروبا كلها قبل نصف قرن، وكُدانَ به معظم

(١) انظر نص هذا الحوار في كتابنا «حتى لا نخدع» - دار الشروق - القاهرة

الناس فى الشرق والغرب، غير أنى لم أصادف مثل هذا الداعية إلا فى رجل واحد من الهند».

وفى أوائل الأربعينيات من هذا القرن، سافر (جورج برنارد شر) إلى (سنغافورة) على ظهر الباخرة : THE IMRESS OF (GREAT BRITAN) ..

فأجرى معه رئيس تحرير إحدى المجلات حواراً قال فيه :

«قرأت لك مقالاً فى صحيفة (COSMOPOLITAN) تمتدح فيه الإسلام، وأحب - الآن - أن اسمع رأيك فى الإسلام؟»

فأجاب: «الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر .. ودين البيع والشراء .. وفوق ذلك فهو دين الاجتئمان ...!!! إلا أن هناك أمراً مهماً يجب أن لا أغفله ...».

- فسألته: «وما هو ...؟».

- أجاب: «الإسلام شىء .. والمسلمون شىء آخر .. الإسلام حسنٌ ولكن أين المسلمون؟! ..».

- قلت: «إذن تعتقد أن المسلمين ليس لهم من الإسلام إلا الاسم. وهل تقارن المسيحية كنظام اجتماعى بالإسلام ...؟»

- أجاب: «كلا، ليس فيما أعرف من الأديان، نظاماً اجتماعياً صالحاً كالنظام الذى يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية ...!!!».

- قلت: «ولكن هناك حركات تدل على أن المسلمين بدءوا يستيقظون».

- قال: «واين هذا؟».

- أجبت: «في الشرق العربي».

- قال: «هؤلاء جلُّهم من اصل عربي، وحركتهم جنسية أكثر منها إسلامية!».

- قلت: «لا أظن ذلك .. ولكن ما رأيك؟».

- أجاب: «الإسلام لا يستيقظ إلا إذا عمل المسلمون بصفاتهم مسلمين فقط، وتجنبوا ما نسميه (الروح الوطنية) والغلو في القومية ..!!!».

- قلت: «في أوروبا وأمريكا مبشرون إسلاميون؛ فما رأيك في هؤلاء؟».

- أجاب: «لا شك أنهم يستحقون العطف؛ إذ أننى لا أظن أن المسلمين يقدرون التبشير بالإسلام كما يقدرُ المسيحيون - على اختلاف مذاهبهم - التبشير بالمسيحية، فليس للمسلمين جمعية تبشير تضاهي أية جمعية تبشير لأى فرقة مسيحية ..!!!».



التحدث الحقيقى الذى يواجهه الغرب

من الظواهر التاريخية التى حيرت المؤرخين فى بلاد الغرب ظاهرة انتشار الإسلام فى أوروبا والولايات المتحدة، هذه الظاهرة التى يرى بعض المؤرخين أنها عجيبة. ! والأعجب من ذلك أن يكون هذا الانتشار فى زمن فقد فيه المسلمون كل عناصر القوة، وفى الوقت الذى يهاجم فيه الإسلام بقوة وشراسة فى أوروبا وأمريكا.

لقد أقبلَ الناس على الدخول فى الإسلام كما يقول «سونيت» لأن الإسلام عقلانى الجوهر وفيه مزايا جلية إلى جانب مبادئ البسيطة التى لا تقبل الجدل، أقبلوا عليه كما يقول «توماس أرنولد» دون أية محاولة للإرغام والاضطهاد؛ لأنه دين يحترمه العقل، وتطمئن إليه النفس والقلب. ! ومن الظواهر المصاحبة لحركة انتشار الإسلام فى هذه الدول؛ أن معظم الذين يعتنقون الإسلام جاءوا من كبريات الأسر أو من المثقفين الذى يفكرون بعقولهم فى حقيقة دينهم الذى لم يعد له فى حياتهم أثر. !

قبل خمس سنوات سافرتُ إلى بريطانيا للمشاركة فى مؤتمر دعا إليه «المجلس الإسلامى العالمى». وبعد الانتهاء من أعمال هذا المؤتمر التقيتُ ببعض الأخوة البريطانيين للتشاور حول أوضاع المسلمين فى بريطانيا وغيرها من الدول.

فى حقائق «Kensington» «كينسجتون» كنت أسير ومعى
«البروفسور عبد الحكيم ونتر» بعد تناول وجبة الطعام فى مطعم
عربى بشارع «كوينزواى» Queen's way .

لقد سألتنى الأخ عبد الحكيم: هل قرأت صحف لندن اليوم؟
قلت له: وماذا فى هذه الصحف؟ إننى لا أجد وقتًا لقراءة
صحيفة عربية أو إنجليزية؛ فما بقى لى فى لندن سوى يوم واحد
أغادر بعدها العاصمة البريطانية عائداً إلى القاهرة.

قال الأخ عبد الحكيم: إن هناك ضجة فى مجلس العموم
بسبب قاضى المحكمة العليا المستر «سكوت» «Scott»، الذى
يحقق فى فضيحة تهريب الأسلحة إلى العراق. لقد طلب مجلس
العموم سحب هذه القضية من القاضى ولسبب غاية فى الغرابة. .
قلت للأخ عبد الحكيم: وما السبب فى اتخاذ هذا الموقف من هذا
القاضى؟ أجاب: السبب كما تقول الصحف أن لهذا القاضى
«ابتين» تدرسان فى جامعة «أكسفورد» وأن هاتين الابنتين قد
أسلمتا وانضممتا إلى قافلة الإيمان فى مدينة «أكسفورد»!!!

إن الإسلام يتقدم بخطى ثابتة فى بريطانيا التى يعيش فيها اليوم
أكثر من مليونى مسلم. وبالرغم من حملات الكراهية وإثارة
الشكوك ضد الإسلام والمسلمين فى بريطانيا وعموم أوروبا، فإن
الإسلام يكسب كل يوم جديداً، وحتى بعد أحداث الحادى عشر
من سبتمبر فإن الإقبال على الإسلام قد ازداد، والكتب الإسلامية
بدأت تنتشر انتشاراً واسعاً أضعاف ما كانت عليه قبل وقوع هذه
الأحداث!!!

وقبل أسابيع نشرت صحيفة «الصنداي تلغراف» The Sunday Telegraph مقالاً تحت عنوان «جو» يشهر إسلامه. ويقول هذا المقال الذي نشرته «الصنداي تلغراف» أنه نجل «فرانك دويسون» أحد الوزراء السابقين بمجلس الوزراء البريطاني، وهو أحد أفراد الطبقة الوسطى البريطانية التي تشهد إقبالاً ملحوظاً من أفرادها على اعتناق الإسلام.

وكان «جو أحمد دويسون» ٢٦ عاماً - قد نشأ في جوٍ لم يكن ينال رضاه، ولكنه الآن يؤدي صلواته لله خمس مرات في اليوم، ويقرأ القرآن ويخطب للسفر إلى مكة للحج.

وعلى النقيض مما حدث لما يُقدَّر بـ ١٠ إلى ٢٠ ألف بريطاني اعتنقوا الإسلام خلال الـ ٢٠ عاماً الماضية فإن أسرة «جو» لم تتلقَ قراره بخوف، على الرغم من أن والده كان يشغل منصب وزير الدولة للصحة في ذلك الوقت.

في حديثه العام عن قصة إيمانه للمرة الأولى أشار إلى أن انطباعاته الأولى عن الإسلام كانت في أغلبها سلبية.

ولكن في عامه الـ ١٦ قدَّم إليه أحد أصدقائه الترجمة الإنجليزية للقرآن، ويصف «أحمد» ما حدث بعد ذلك بقوله: «كانت القراءة فيه بمثابة الروحى» وأضاف قائلاً: «لقد كان مختلفاً تمام الاختلاف عن كافة مدرّساتي السابقة عن الإسلام؛ فقد امتدح التعليم للرجل والمرأة، ويقول: إن عليك أن تعامل كل شخص باحترام».

ويعلق «جو أحمد» على مشواره بعد إشهار إسلامه قائلاً:

«كان إيماني بأن ذلك هو في الحقيقة إيمان يتنامى، إلا أنني لم أكن أرغب في إعلان إسلامي إلى أن تأكدت من أنني سأعيش بهذا الدين». ويضيف «جو أحمد» قائلاً: «والآن فإن الله يقرود خطواتي عندما اتخذ قرارات تتعلق بالجانب الأعظم من شئون حياتي».

وقد أظهرت أسرته تأييدها الدائم له، وعلّق «جو» على ذلك بقوله: «يتابع لي أبي كتباً عن الإسلام في كل كريسماس»!!!

واليوم يعيش «جو أحمد» بعد زواجه من فتاة مسلمة في جنوب لندن على مقربة من مسجد بريكستون.

وتشير الإحصائيات إلى أن عدد من اعتنقوا الإسلام بعد هجمات ١١ سبتمبر على الولايات المتحدة يتجه إلى التزايد؛ فأحد مساجد مدينة مانشستر البريطانية أعلن اعتناق ١٦ شخصاً للإسلام خلال الأسابيع القليلة الماضية. وقد علّق محمد صديق صادون - باحث زائر بالمعهد الإسلامي في ليسستر بقوله: «هناك طفرة؛ فالإساءة المنتظمة للإسلام أيقظت العقل الغربي الفاضل لطرح سؤال حول ماهية هذا الشر». ١٢.

وبالنظر إلى ما يتردد في الغرب من أن الإسلام يعامل النساء كمواطنتين من الدرجة الثانية فإنه - وما أثار الدهشة - أن غالبية من اعتنقوا الإسلام كانوا من النساء؛ ففي الولايات المتحدة فاق عدد النساء اللاتي أعلنن إسلامهن عدد نظرائهن من الرجال بنسبة ٤ إلى ١، وفي بريطانيا بنسبة ٢ إلى ١.

وتشير الدرامات إلى أن جانباً كبيراً من المسلمين الجدد في بريطانيا لديهم خلفيات متعلقة بالطبقة الوسطى مثل «ماثير ويلكنسون» أحد أفضل طلبة مدرسة «إيتون» الشهيرة واحد خريجي جامعة كامبريدج، ونجل جون بيرت المدير العام السابق للـ «بى بى سى»، ونجل القاضى سكوت الذى رأس التحقيقات بشأن توريد أسلحة بريطانية إلى العراق.

من جانب آخر تمثل «حرفية بال حلیم» نموذجاً للبريطانيات اللاتي اعتنقن الإسلام؛ فهي خريجة جامعة سانت أنى بأكسفورد وكان والدها يهودى الديانة، بينما كانت والدتها تنتمى للروم الكاثوليك، وقد تحولت «حرفية» إلى الإسلام فى عام ١٩٧١م. وهى تعلق على ذلك بقولها: «ما حدث فى الغرب هو أن تيار الانثوية «FEMINISM» قد سلبَ حقوقها كامرأة؛ فقد أجبرها على الذهاب إلى العمل، وقل عدد الزيجات تدريجياً، وهذا أمر يقوم الإسلام بتوفير الحماية منه، وأشعر الآن أننى أكثر حرية فقد أصابنى الاضطراب بشأن القيم التى يتمسك بها مجتمعنا؛ فهو يتوقع أن تكون المرأة رجلاً وامرأة، وأن تكون مغرية وفاضلة، وأن تكون جميلة وذكية وأى شيء آخر!!!».

وهذا هو التحدى الحقيقى الذى يواجهه الغرب.!!!





مفاجأة في ريجنت بارك REGENT PARK

قبل حوالي سبع سنوات تلقيت دعوة من «المجلس الإسلامي العالمي» «THE WORLD ISLAMIC COUNCIL» لحضور مؤتمره الثاني الذي عُقد في مدينة لندن لبحث شؤون الدعوة في بلاد الغرب، كنت أتوقع أن أرى في هذا المؤتمر المسلمين البريطانيين أو حتى على الأقل مشاهير المسلمين.

غير أنني لم أشاهد أحداً من هؤلاء المسلمين البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام عن إيمان و يقين؛ بل كان جلُّ مَنْ حضر هذا المؤتمر إما عرباً أو هنوداً أو باكستانيين! لقد فقد هذا المؤتمر مبرر انعقاده من أول جلسة، وقد رأيت من العبث الاستمرار في حضور جلساته، كما رأيت من الأفضل البحث عن هؤلاء الأخوة البريطانيين الذين تربطني بهم معرفة وثيقة وأخوة صادقة عميقة.



لم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة ظهراً بتوقيت بريطانيا الصيفي حين دلفت من البوابة الكبرى إلى داخل متنزه «ريجنت»، كنت أجلس وحيداً على أحد المقاعد الكثيرة المنتشرة حول بحيرة «البط»، بينما كانت أسراب «الحمام الملكي» تحوم من حولي. تلتقط فتات الحيز الذي كان الأطفال يحملونه معهم لإطعام الحمام

والبط. وقد انشغلت عن هذا كله بالقراءة فى الكتاب الذى كنت
أحمله معى؛ كان اسم هذا الكتاب «عاصفة الصحراء WIND
THE SAHARE» وكان مؤلفه اسمه R.V.C. BODLEY السير
«رالف بودلى» فقد عاش هذا الرجل تجربة قاسية بين العرب
الرُّحَّل فى صحارى شمال أفريقيا، ورأى ما يتعرض له هؤلاء
البدو الرُّحَّل من صعاب ومصائب ينهار من شدة وطأتها الجبل،
غير أنهم كانوا يقاتلون هذه الشدائد بالصبر والرضا، ثم بالدعاء
والصلاة إلى ربهم الأعلى! يقول السير رالف بودلى: «لقد بدأت
أتساءل بينى وبين نفسى عن السر وراء هذه الطمأنينة وهذا
الهدوء، فعرفت أنه «الإسلام»؛ لأن المسلم الحق الذى أشربت
روحه تعاليم «النبي محمد» لا يفضب إذا أسىء إليه، ولا يسخط
إذا فقد أعز ما يحرص عليه! وقد دفعنى هذا إلى دراسة
الإسلام، وقد انتهت بى هذه الدراسة إلى تأليف كتاب عن (النبي
محمد). لم تكن المفاجأة فيما قلته الآن، بل كانت المفاجأة فى
هذه السيدة التى جلست قريباً منى على الطرف الآخر من المقعد،
لقد لفت نظرهما الكتاب الذى كنت أقرأ فيه، ثم سألتنى: «هل
اعجبك هذا الكتاب؟». قلت لها مؤكداً اعجابى بهذا الكتاب:
نعم، وإلا ما اشتريته. قالت: هل تعرف من مؤلفه؟ قلت لها:
طبعاً إنه السير رالف بودلى. فعادت تسأل: هل تعرف أننى
حفيده؟ قلت: وكيف أعرف ذلك ولم يسبق بيننا تعارف من
قبل، ولم أرك إلا منذ دقائق فقط؟! فأخبرتني أن اسمها «سارة»
وأنها تبحث منذ سنوات عن مسلم يشرح لها الإسلام، ولكنها لم

تعثر على هذا الشخص حتى هذا اليوم .. قلت لها: ولماذا لا تذهبين إلى المركز الإسلامي؟، قالت: إنني أعيش في ضاحية «WATERLOO» وهي ضاحية بعيدة جداً عن هذا المكان، وأكون سعيدة لو أعطيتني العنوان. قلت: ولماذا أكتب لك عنوان المركز الإسلامي وهو منا على قيد خطوات؟ هيا بنا أيتها الأخت العزيزة «سارة» إلى المركز. وهناك استقبلها الأستاذ الدكتور عبد الجليل إمام المركز بحفاوة، واشترك معه في هذه الحفاوة بعض المسلمين الإنجليز الذين كانوا في زيارته بمحض الصدقة.

لقد اختارت السيدة «بودلي» الإسلام منذ ذلك اليوم - غير أنها - كما أخبرني المرحوم الدكتور عبد الجليل انقطعت عن زيارة المركز حتى فوجئ بزيارتها له بعد شهرين، أما لماذا غابت عن المركز كل هذه المدة؛ فلأنها كانت سافرت إلى الولايات المتحدة لزيارة ابنها الذي يعمل مهندساً في مدينة «نيويورك»، وهنا كانت المصادفة الثالثة! لقد صادف وصولها إلى «نيويورك» قدوم اليوم الأول من شهر رمضان المعظم، وقد عرفت السيدة «سارة» ذلك حين اعتذر ابنها عن عدم مشاركتها في طعام الغداء، فلما سأله عن سبب هذا الامتناع أخبرها أنه أسلم، وصوم شهر رمضان فرضاً وواجباً على كل مسلمة وعلى كل مسلم!!!





مجموعة كمبريدج

فى مدينة كمبريدج وفى شارع «هنتون أفينيو» Hinton Avenue كانت إقامتى مع أسرة إنجليزية. كنا فى هذا البيت مجموعة من مختلف قارات العالم . . واحد ألمانى، وواحد سويسرى، ورابع إيطالى، بالإضافة إلى طالب آسيوى وهو «تورجوت». وآخر مكسيكى هو «كارلوس»، وثالث افريقى وهو «أنا» . . ١

كان أول عمل قمتُ به بعد استقرارى فى هذا البيت الالتحاق بمدرسة خاصة لتعليم الإنجليزية . . وقد نصحنى الاخوة العرب بالالتحاق بمدرسة «ستوديو سكول - أف - المجلش Studio School of English». كانت هذه المدرسة تقع قريباً من البيت الذى اسكن فيه وفى شارع قريب من محطة السكة الحديد Station Road corner.

كانت بداية هادئة وجميلة. غير أنى لاحظت - بمرور الوقت - من الدارسين الذين كانوا يقيمون معى فى البيت، أموراً غريبة بعد أن عرفوا أننى مسلم!

عرفوا ذلك حين كنت أتحدث إلى صاحبة البيت بالآ يحتوى طعامى على لحم خنزير . . وأن تفضل مشكورة بعدم وضع أى مسكر أمام مقعدى فى غرفة الطعام . . !

فالإسلام كما عرفوه، ودرسوه دين همجى . . ! وأتباعه لا بد وأن يكونوا على شاكلته وإن عاشوا فى مجتمع متحضر . . !

وقد لاحظتُ أيضاً أن صاحبة البيت - الذى كنت أنزل فيه مع هذه المجموعة - بدأت تراقبني خفيةً. . . ! كانت تعتمد دخول «الحمام» بعد خروجي منه. . . وتزور حجرتي بعد الذهاب إلى المعهد الذى كنت أدرس فيه، وترصد حركاتي طوال الوقت حين أكون موجوداً بالبيت. . . !

وبعد حوالى أسبوعين وجدتها تدخل على فجأةً. . . كان اليوم يوم أحد. . . وكان كل من فى البيت نائماً بعد سهر طويل فى نوادى الليل. . . وكنت دون غيرى اليقظ الوحيد بين أهل الكهف. . . !

قالت المسز «داى» (Dye) وهذا هو اسمها:

- أريد أن اعتذر إليك. . . ! فقد لاحظت أنك الوحيد الذى يحافظ على نظافة البيت. . . ! كنت أدخل الحمام بعد خروجك منه فأراه كأنه لم يستعمل قط. . . وكنت أذهب لترتيب حجرتك فأراك سبقتنى إلى هذه النظافة وهذا الترتيب، وعرفت أنك الوحيد الذى يحافظ على نظام البيت ومواعيده بالضبط.

ولكن شيئاً واحداً يحيرنى ولم أفهمه حتى الآن. . . !

قلت للمسز «داى» مازحاً:

- وأى شيء هذا الذى يحيرك منى. . . !

قالت:

فى تمام الساعة الخامسة صباح كل يوم أسمع فى حجرتك حركة وأرى الأتوار مضأةً.

فماذا يحدث عندك صباح كل يوم فى هذه الساعة المبكرة ؟

قلت للسيدة «داى» :

فى هذا الوقت أقوم لأصلى الفجر، وهى أول صلاة يؤدّيها المسلم كل يوم .. وبعد الصلاة أجلس لأقرأ شيئاً من القرآن .. كتابنا المقدس .. ثم أنهياً بعد ذلك للتزول إلى غرفة الطعام لتناول طعام الإفطار فى الوقت الذى حددته لنا بالضبط !

لقد تبدلت المسز «داى» تبدلاً كاملاً منذ هذه اللحظة . كانت تعاملنى معاملة خاصة تعجّب منها الأخ الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى - إمام المركز الإسلامى فى هذا الوقت - حتى زوجها الرجلُ الغليظ المشاعر والحس، بدأ يؤثّرنى بمودته التى كانت شحيحة حتى بالنسبة لأطفاله الصغار فى البيت ... !

كان معنا فى البيت دارسٌ فرنسى اسمه «جون باسكال» أبوه من كبار رجال الأعمال فى فرنسا فى مدينة «بورديو» .. لقد دعانى ذات يوم إلى حجّرتة، وبعد كلمات المِجاملة المعروفة وتقديم المرطبات والفاكهة سألتنى قائلاً :

- هل تعرفنى .. ؟

- طبعاً .. فأنت فلان ...

قال : لا .. إبنى أعنى شيئاً آخر .. !

- قلت : ما هو ؟

قال : أنا يهودى ... ؟

قلت: وما الغرابة في ذلك؟ إنني كمسلم مطالبُ باحترام اليهودى والمسيحى، فدينى يأمرنى بأحسن المعاملة لأهل هاتين الديانتين بصفة خاصة...

أما إذا كنت تقصد ما بين إسرائيل والعرب فالقضية هنا مختلفة؛

فأنا كمسلم يأمرنى الإسلام بقتال أى رجل يريد أن يعتدى على حياتى أو مالى... حتى لو كان هذا المعتدى مسلماً؛ فإن الإسلام يطالبنى بأن أقاتله وأن أدفع ظلمه...

فالقضية هنا ليست قضية يهودى ومسلم... أو مسيحى ومسلم... إنها قضية عدوان وظلم... ودفع الظلم من طبيعة الإسلام... سواء أكان المعتدى أو الظالم مسلماً أو غير مسلم...!!!



إن في بريطانيا أكثر من مليونى مسلم. وحوالى ألف مركز إسلامى ومسجد، وهناك مئات المدارس والمستشفيات والمتاجر يديرها مسلمون من شتى الجنسيات، وفي أهم المدن فى لندن وفي «كارديف» وفي «برمنجهام» وفي «مانشستر» وفي «بلاكبورن» وفي «برادفورد» وفي «ليفربول» وفي «ليدز» وفي «بريستول».

وهناك مركز إسلامي كبير أنشئ أخيراً في جامعة «أكسفورد» وهو المركز الذي افتتحه الأمير «تشارلز» وألقى فيه محاضراته الشهيرة التي أنصفت الإسلام كدين وكحضارة ومثل للناسخ والإخاء والعدل.

وفي البرلمان البريطاني أو مجلس العموم يوجد عضو مسلم .. كما يوجد في مجلس اللوردات عضو آخر اسمه «اللورد أحمد»! وهو الذي ترأس بعثة «الحج» البريطانية في هذا الموسم أي موسم عام ١٤٢٠ هـ من هجرة النبي ﷺ.

فالطريق أمام الإسلام مفتوح وسهل ومعهده، والناس في بريطانيا وغيرها من شعوب أوروبا لا يعرفون عن الإسلام إلا القليل ... وهذا القليل كذبٌ ومُحَرَّفٌ ومُزَيَّفٌ!

في حي (هامستد) في لندن كنت أقيم مع أسرة إنجليزية. وقد تعودتُ في أسفاري الطويلة أن أحمل معي تسجيلات المرحوم الشيخ «محمد رفعت»؛ ذلك أن صوته الملائكي في بلاد «الغربة» وبخاصة في أوروبا يفصل قلبك من كل هموم الدنيا.

وذات يوم وفي تمام الساعة السابعة والتصف نزلتُ إلى قاعة الطعام، كنت قد نسيتُ إغلاقَ المسجل .. ففرض الشيخ رفعت بصوته الأثيري الرباني وجوده على كل من في المنزل.

وفجأة التفتُ إلى المسر (تيلر) صاحب البيت وقال بأدب:

- أظن هذا صوت أشهر مغن عندكم في مصر...!

* قلت معذراً: آسف. لقد نسيت إيقاف المسجل...

ثم قلت له: إن الذى تسمع صوته ليس مغنياً.

إنه صوت أشهر قارئ للقرآن الكريم كتابنا المقدس فى مصر...

- وهنا سأل المستر (تيلر) وماذا يقرأ الآن...؟

* كان الشيخ رفعت يقرأ الربع الأول من سورة (مريم) .. وما كدت أشرح للمستر (تيلر) ما يقرأه الشيخ رفعت حتى نهض واقفاً. وقال: هذه أول مرة أسمع فيها هذا الكلام... أفى كتابكم المقدس كل هذا التقدير والاحترام للمسيح وأمه؟ .. إننى لا أكاد أصدق .. لقد علّمونا فى الجامعات والمدارس عكس ذلك تماماً.

* وما كدتُ أكْمِلُ بقية التفسير لما كان يقرأه الشيخُ رفعت حتى هتف قائلاً:

إذن .. فأنا مسلم ولا أدرى. ١٢

سألته: كيف كنت مسلماً ولا تدري؟

أجاب المستر «تيلر» فى الوقت الذى جلست فيه زوجته تصغى وتسمع:

إننى أؤمن بالمسيح كما صورهُ القرآن .. المسيح النجى والرسول .. لا المسيح الإله ولا ابن الإله .. !

إننى أسمع هذا لأول مرة ... فلم تكن لى أدنى صلة بالقرآن

من قبل . وما رأيتُ مسلماً حتى أقمتَ عندنا هذه المدة القصيرة
فى البيت .

لقد أهديتُهُ نسخة من ترجمة معانى القرآن لـ «يوسف على»
وكانت آخر مرة رأيتُهُ فيها - فى المسجد المركزى - وهو يصلى !!!
فى «كمبردج» (Cambridge) كنا نصلى الجمعة . فى كنيسة
صغيرة اسمها «فشر هاوس» (Fisher House) .

فقد سمحتُ إدارة الجامعة للطلبة المسلمين بأداء شعائرتهم فى
هذه الكنيسة التى لم يعد يدخلها أحداً

كنا نذهب إلى هذه الكنيسة قبل الصلاة بوقت كاف ...
فتنقل التماثيل والصلبان إلى ركن بعيد عن اتجاه القبلة ... ثم
بعد الصلاة نُعيد كل شيء إلى مكانه .

لقد تعجَّب من هذه القصة زميلى السويسرى الذى كان يقيم
معى فى شارع «هيتون»؛ فليس من المعقول أن يصلى مسلم فى
كنيسة؛ إن هذا شيء غريب يسمعه لأول مرة .

وقد زادت دهشته حين أخبرته أن نبي الإسلام «محمد» كان
يسمح للنصارى بالصلاة فى مسجده . فقال كمن يحدث نفسه :

لقد علَّمونا غير ذلك ... وصوِّروا الإسلام ونبيه كعدو
للمسيح ... إن الكنيسة لم تكن عادلة فى حكمها على النبي
محمد ﷺ .. كما لم تكن أمينة حين علَّمت إتباعها غير الحقيقة
والصدق ... !

منذ عشرين عاماً ظهر فى لندن كتابٌ اسمه «المسلمون
قادمون» !

تخيل فيه المؤلف أن مشيخة الأزهر قد نقلت مقرها من القاهرة
إلى «كاتدرائية سانت بول» (Saint Paul's Cathedral).

وإن «يوسف إسلام» أو «كات ستيف» المسلم البريطاني المشهور
قد نُصِّبَ «خليفة» للمسلمين في كنيسة «وستمنستر ابى»
(Westminster Abbey).

وأن مجلس العموم (The houses parliament) قد امتلأ بأمثال
أبو حمزة المصرى وعمر بكري!

مسكين «أتونى برجس» مؤلف هذا الكتاب؛ لقد نسي أن
المسلمين الذين يعينهم غير موجودين أصلاً! لا شرقاً ولا غرباً!!!



شخصيات لا تُنسى

١ مالكولم أक्स..

وُلد «مالكولم أक्स» في قلب المجتمع الأمريكي؛ حيث يعتبر الزنحى الأسود مخلوقًا منحطًا لا قيمة له، وقضى أكثر طفولته خادماً لأسر أمريكية من البيض، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة للبيض في مدينة (ماديسون) بولاية ميتشجان، ولكن معاملة البيض له رجعت في نفسه بذور الحذر منهم وعدم الثقة بهم منذ حداثة سنه.

فقد سألَه مُدرّس اللغة الإنجليزية مرةً عن نوع المهنة التي يرغب في مزاومتها في المستقبل، فأجاب مالكولم أक्स: «المحاماة». إلا أن مدرسه نصحه بالعدول عن الفكرة والاتجاه نحو تعلم التجارة ومزاومتها.

هذا مع أنه كان دائماً أحد الثلاثة الأوائل في فصله!؟

ترك «مالكولم» ولاية ميتشجان في صيف عام ١٩٤٠م وهو في الخامسة عشر من عمره واتجه إلى مدينة بوسطن على الساحل الشرقي من الولايات المتحدة ليعيش مع أخت كبرى له هناك.

وكانت تلك الرحلة نقطة تحول هامة في حياة مالكولم، كما يروى عن نفسه في ترجمته الشخصية، لقد كانت رحلته نقلةً إلى

فصل آخر من فصول «مدرسة الحياة» التي كان مالكولم أكس تلميذًا من أشهر وأعجب تلامذتها.

دخل مالكولم المراهق - آنذاك - في بوسطن عالم الليل ينظف الأحذية في النوادي الليلية ويغسل الصحون في المطاعم والقطارات. كما دخل أيضًا عالم السوق السوداء والقمار والمخدرات وتجارة البغاء حيث يسود قانون الغاب، وحيث بُنيت الحياة كلها على الخداع والمالأة والتحايل والمكر والدهاء. . دخل مالكولم ذلك الخضم. . وأخذ نصيبه كاملاً. . ونزل إلى أعماق مواخير الحياة الأمريكية حتى صار مدمن مخدرات، مما دفعه إلى عالم الإجرام والسرقة، وانتهى به الأمر إلى السجن!

في داخل السجن استأنف مالكولم تعليمه بمجهوده الشخصي.

وفي داخل السجن تعلم فن الخطابة والنقاش. .

وفي داخل السجن أيضًا تعرف على الإسلام وآمن به، فكان ذلك أخطر تحول في حياته، وبداية مرحلة جديدة شاء الله أن تستمر حتى انتقل مالكولم إلى ربه مؤمنًا مجاهدًا مرضيًا.

تعرف مالكولم على الإسلام عن طريق منظمة تدعو إلى الإسلام بين الزوج في الولايات المتحدة تسمى «دولة الإسلام» ويرأسها رجل يسمى «الايجا محمد» يدعى أنه رسول الله. . وأن الله سبحانه وتعالى - قد جاء إلى أمريكا في هيئة رجل - في عام ١٩٢٨م، ويسمى «والاس فارض»، وقابل «الايجا محمد» وحمله

وُلد «مالمكولم أكس» في قلب المجتمع الأمريكي؛ حيث يعتبر الزنجي الأسود مخلوقاً منحطاً لا قيمة له، وقضى أكثر طفولته خادماً لأسر أمريكية من البيض، تَلَقَّى تعليمه الابتدائي في مدرسة للبيض في مدينة (ماديسون) بولاية ميتشجان، ولكن معاملة البيض له زرعت في نفسه بذورَ الحذر منهم وعدم الثقة بهم منذ حداثة سنه.

فقد سألَه مُدرِّس اللغة الإنجليزية مرةً عن نوع المهنة التي يرغب في مزاومتها في المستقبل، فأجاب مالمكولم أكس: «المحاماة». إلا أن مدرسه نصحه بالعدول عن الفكرة والاتجاه نحو تعلم التجارة ومزاومتها.

هذا مع أنه كان دائماً أحد الثلاثة الأوائل في فصله!

ترك «مالمكولم» ولاية ميتشجان في صيف عام ١٩٤٠م وهو في الخامسة عشر من عمره واتجه إلى مدينة بوسطن على الساحل الشرقي من الولايات المتحدة ليعيش مع أخت كبرى له هناك.

وكانت تلك الرحلة نقطة تحول هامة في حياة مالمكولم، كما يروى عن نفسه في ترجمته الشخصية، لقد كانت رحلته نقلةً إلى

فصل آخر من فصول «مدرسة الحياة» التي كان مالكولم أكس تلميذاً من أشهر وأنجب تلامذتها.

دخل مالكولم المراهق - آنذاك - في بوسطن عالم الليل ينظف الأحذية في النوادي الليلية ويغسل الصحون في المطاعم والقطارات. كما دخل أيضاً عالم السوق السوداء والقمار والمخدرات وتجارة البغاء حيث يسود قانون الغاب، وحيث بُنِي الحياة كلها على الخداع والمالأة والتحايل والمكر والدهاء . . دخل مالكولم ذلك الحُفْصَم . . وأخذ نصيبه كاملاً . . ونزل إلى أعماق مواخير الحياة الأمريكية حتى صار مدمن مخدرات، مما دفعه إلى عالم الإجرام والسرقة، وانتهى به الأمر إلى السجن !

في داخل السجن استأنف مالكولم تعليمه بمجهوده الشخصي .

وفي داخل السجن تعلّم فن الخطابة والنقاش . .

وفي داخل السجن أيضاً تعرّف على الإسلام وآمن به، فكان ذلك أخطر تحول في حياته، وبداية مرحلة جديدة شاء الله أن تستمر حتى انتقل مالكولم إلى ربه مؤمناً مجاهداً مرضياً.

تعرّف مالكولم على الإسلام عن طريق منظمة تدعو إلى الإسلام بين الزوج في الولايات المتحدة تسمى «دولة الإسلام» ويرأسها رجل يسمى «الايجا محمد» يدّعي أنه رسول الله . . وأن الله سبحانه وتعالى - قد جاء إلى أمريكا في هيئة رجل - في عام ١٩٢٨م، ويسمى «الاس فارض»؛ وقابل «الايجا محمد» وحمله

رسالة الإسلام لنشرها بين السود فى أمريكا من أجل تحريرهم من قبضة «الشيطان» الذى هو الرجل الأبيض ... !!!

كان مفهوم مالكولم للإسلام عند خروجه من السجن مبنيًا على ما وصله عن طريق الأيجا محمد وأتباعه. وكان الأيجا محمد شخصيًا يكتب الرسائل لمالكولم أكس أثناء فترة سجنه، ودخل مالكولم منظمة «دولة الإسلام» ليكون من أنشط رجالها العاملين. فقد كان إيمان مالكولم وحساسيته وشعوره القوى بالمشكلة يدفعه دفعًا للعمل ونشر الإسلام بين السود، وكان لحركته وقدراته ومؤهلاته التى اكتسبها فى السجن الدور الكبير فى جعله الرجل الثانى بعد الأيجا محمد فى «دولة الإسلام»، وزاد عدد أتباع الأيجا محمد عشرة أضعاف فى خلال ثمان سنوات بمجهودات مالكولم أكس وأنشطته.

وأهم من هذا وذلك أن مالكولم قد بدأ إذ ذاك يعرف حقيقة الإسلام الصحيح، وبدأ يتبين سمو هذا الدين، وأنه الطريق الوحيد لبناء مجتمع إنسانى راق، لا محل فيه لتفرقة عرقية، ولا استغلال فئة من البشر فئة أخرى، ووضحت لمالكولم أكس آنذاك تلك الشقة الهائلة بين حقيقة الإسلام، وبين تلك الدعوة الشوهاء التى يدعو إليها الأيجا محمد باسم الإسلام وهى ليست من الإسلام فى شيء، وتفتحت فى مالكولم عندئذ رغبة أصلية وقوية فى معرفة هذا الدين معرفة وثيقة؛ كى يصلح ما ساعد على بنائه من حركة زائفة تسمى باسم الإسلام.

وخرج مالكولم من الولايات المتحدة فى أوائل ربيع ١٩٦٤م،
ميسماً شطر مكة وقاصداً أداء فريضة الحج .

وكان الحج تجربة هزت كيانه من الأعماق؛ فقد شهد فى عرفة
ومنى ومكة حقيقة المساواة بين الناس التى ينادى بها الإسلام،
ويطبقها المسلمون، وكتب إلى صديق له يقول:

«لقد شهدتُ هنا ما لم أحلم به من قبل فى حياتى... لقد
عشت أسبرعاً فى خيمة واحدة مع أناس كانت شعورهم أشد
صفرة من الذهب وعيونهم فى مثل زرقة السماء، ولم ألس شيئاً
فى حديثهم يدل على أن كلمتى «أسود» و«أبيض» تعيان بالنسبة
لهم أى شىء أكثر من إشارتهم إلى اللونين الذين تدلان عليهما،
ولقد تبينت أن ذلك إنما ينبعث من التربية التى يعلمها الإسلام...».

قضى مالكولم أكس شهرين بعد الحج فى البلاد الإسلامية،
يعمل جاهداً على تعلُّم أكبر قدر ممكن عن الإسلام وتشريعاته
التي يقوم عليها، وعاد إلى الولايات المتحدة، وكتب يقول:

«إن مهمتنا الأولى هى تحطيم ما أنفقنا عشر سنوات فى بنائه».
فقد هاله أن يكون عمله السابق إنما يسهم فى إقامة ذلك الزيف
الذى يتسمى باسم الإسلام ويخدِّر السود بأحلام عذبة، دون أن
يكون وراءها شىء من الحقيقة، وقد بدأ مالكولم أكس سعيه
وجهاده فى هذا السبيل بتكوين منظمة أسماها «المسجد الاتحادى»
تعمل على نشر الإسلام الصحيح وتَقصرُ نشاطها على البرامج
الإسلامية الصرفة.

بلغ نشاط مالكولم أكس ذروته بعد عودته من الحج، وكانت
طفرة هائلة تلك التي نقلت الفتى المتشرده الذى سار شوطاً واسعاً
فى طريق الإجرام وجعلت منه ذلك الإنسان العملاق الداعى إلى
الخير والهدى والطريق المستقيم. نعم إنها لطفرة واسعة تلك التى
وصلت «مالكولم أكس» إلى أن يكون تلميذاً من تلامذة معلم
الخير محمد ﷺ.

وفى فبراير ١٩٦٥م وقف «مالكولم أكس» ليخطب داعياً إلى
الله .. فإذا بالرصاص ينهال عليه، ويخر «مالكولم» شهيداً فى
سبيل الله !!!

* * *

فمن قتل مالكولم أكس؟؟ سؤالٌ تعرف إجابته السى. آى. إيه
فى أمريكا؟

* * *

٢) الأخت صوجويت

كنت قد تعرفت على هذه الأخت من خلال حوار دار بيني وبين أحد القساوسة الإنجليكانيين في مدينة ستراتفورد . . ولم تدع الأخت مرجريت هذه الفرصة تمر . . فقد احتفظت بعنواني . حيث كنت أقيم في هذا الوقت بعيداً عن الوطن الأم - وحرصت على مكاتبتى في كل ما يعترضها من شبهات تتصل بالإسلام وموقفه من قضايا العدل والحرية في هذا العصر .

لقد اختارت الأخت مرجريت الإسلام، وانقطعت أخبارها عني . . حتى فوجئت بزيارتها لى قبل عشرة أعوام .
- لقد تحولت تحولاً كبيراً يا أخت مرجريت . .

قلت ذلك . . بعد أن رأيتها في زى إسلامى سابغ، وفي سميت دينى وقور . .

كانت مرجريت قد تزوجت من أمريكى مسلم، ولم تنس أن تطلق على ولديها اسمين عزيزين على قلب كل مسلمة ومسلم .
لقد اختارت لولديها اسمى أحمد ومحمد . . .

أهذه مرجريت الإنجليزية؟ خريجة جامعة كمبردج؟ والفتاة التى انتزعت نفسها من حياة الليل فى أكسفورد ستريت Oxford Street، وماربل أرش (Marble Arch) وأوكار الكوكايين والخشيش فى محطات الأندر جراوند (The under ground) .

لم أصدق ما أرى بعيني، لقد تداخلت في عقلي الصور والقيم والواقع والمثل أمام هذه «البانوراما» الإسلامية التي اسمها مرجريت .. هذه السيدة المسلمة خريجة جامعة كمبريدج .. وابنة الامبراطورية التي واجهت الإسلام - على امتداد قارات الدنيا - بشراسة وحقد ..

ولكنه الإيمان حين يتمكن فيسمو بصاحبه عن الواقع الاليم .. وعن كل لحظة من لحظات العمر.

الم يقل مولانا «محمد على» في محاكمة كراتشي الشهيرة، وهو يواجه محلفين ليس بينهم مسلم:

«إن القصة ليست بين «محمد على» والحكومة .. إنها قضية الله مع البشر. والمشكل كله: هل سيكون السلطان الله على الإنسان أم للإنسان على الله؟

الله الذي وهبهم الحياة والشرف والعقيدة والجاه العقيدة والسلطان والقوة. تلك هي عقيدتي .. فاشنقوني إن شئتم .. ولكن اعلموا أنكم بذلك تنتحرون؛ إذ تقتلون أرواحكم .. ستكونون أجساداً تتحرك بلا روح .. وجيفاً تلقى طعاماً للغريان والكلاب!!»



قلت للأخت مرجريت مواسياً - وهي تحدثني عن واقع المسلمين في العالم كله :-

لقد تجاوزت هذه المحنة منذ اختيارك للإسلام . . وأذكر أنني
 صارتك بما تشكين منه في هذه الأيام . . والحمد لله . .
 فالإسلام . . ليس دينَ أمةٍ معينة، ولا دينَ جنسٍ معينٍ . . إنه
 دين الإنسانية جميعاً حيث وُجِدَتْ، وبأى لغة نطقت، وليس في
 الإسلام «كهنوت» أو «إكليروس» أو رجال دين يمسون بأيديهم
 مفاتيح السماء، أو يمنحون بركاتهم وغفرانهم لكل من يدفع
 الثمن من الأثرياء، ولكل من هبَّ ودبَّ فوق هذه الغبراء .

الم يقل نبينا محمد ﷺ لإحدى بناته فاطمة: «يا فاطمة
 اعلمي، فإنني لا أملك لك من الله شيئاً!» .

إننا جميعاً أحرار في اختيارنا وفي إيماننا يا أخت مرجريت،
 وبمقتضى هذا الإيمان والاختيار يتحدد موقفنا أمام الله . . . كما
 يتحدد وضعنا ومكانتنا في هذه الدنيا .

صحيح أن الواقع الإسلامي اليوم . . . ومر . . . وأحوال
 المسلمين تسيء ولا تسر . . . ولكننا - كما قلت - مسئولون أولاً
 عن أنفسنا . . . ولو استقر هذا الإيمان واليقين في قلب كل واحد
 لا مكنَ تغيير الكثير مما يعوق حركة الإسلام، وما يُنسب إليه من
 تهم تسيء إليه في كل مكان .

لقد بدا الإسلام غريباً . . . وسيعود غريباً كما بدا .



إن بعض اليائسين يفسرون هذا الحديث تفسيراً يتفق مع نظرتهم
 المتشائمة، أو وفق شهواتهم التي أخلدوا بها إلى هاوية سحيقة . .

بينما يشير هذا الحديث إلى ظهور الإسلام في بيئة مشابهة للبيئة التي نشأ الإسلام فيها أول الأمر؛ من حيث الغرابة النفسية، والوحشة الفكرية، ومن حيث التسامي عن كل مغريات هذه الدنيا، وما مثلك ومثل شقيقائك وأخواتك في الإيمان إلا حجة قائمة تنطق بهذه الحقيقة. . . !

وإذا كان العربُ والمسلمون قد انفرطَ عقدُهم في هذا العصر وشأهتْ صورُهم في كل بلد وقطر . . . فليس لأنهم دون البشر كما وصفتهم صحيفة الصن (The Sun)، بل لأنهم تخلَّوا عن إيمانهم الذي مكَّن الله - لهم - به ذات يوم . . ومن يدري؟ فقد يمكِّن الله - للإسلام - على أيدي شعوب كانت من ألد أعدائه فوق هذه الأرض . . . ؟!

وداعًا يا أخت مرجريت . . .

قلت لها ذلك . . . وهي تستأذن في الانصراف . . للحاق بالطائرة المتجهة إلى لندن حيث تعيش أسرتها هناك في حي هادى راق اسمه هامبستد (Hampstead).

لكن وداعًا لأي شيء؟

إن القضية ليست قضية مسلمين يتبادلان الرأي والنصيحة، بل هي قضية حياة أو موت بالنسبة لكل مسلم ومسلمة. «نكون أو لا نكون» كما يقول شكسبير على لسان هاملت في مأساته المعروفة. . . .

وهي مأساةٌ تتكرر كل يوم مع ألف ومائتى مليون من البشر

يمتدُّ وجودُهُم الجغرافى من أقصى الغرب على شاطئىء المحيط
الأطلسى .. إلى أقصى الشرق على شاطئىء المحيط الهندى.

وهى مأساةٌ تتجددُ، وتعدَّدُ ... وتختلف من بلد إلى بلد ..
ومن قطر إلى قطر، ومن جماعةٍ إلى جماعةٍ، بل تكاد تعصف
بكل فرد.

فى أوائل الأربعينيات من القرن الماضى، سافر الكاتب
البريطانى المعروف (جورج برنارد شو) إلى (ستغافورة) على ظهر
البخيرة. (The Impress of Great Britain)

فأجرى معه رئيس تحرير إحدى المجلات حواراً قال فيه:

- قرأت لك مقالاً فى صحيفة (Cosmopolitan) تمتدح فيه
الإسلام، وأحب - الآن - أن أسمع رأيك فى الإسلام؟

- فأجاب: الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر ... ودين
البيع والشراء .. وفوق ذلك فهو دين الجتلمان !!!

- قلت: فما الذى يمنعك من إعلان إسلامك إذن ... وأنت
الاشتراكى الجتلمان؟

- فقال: أزعم للناس أننى اشتراكى، ولكنى لا أدرى هل ما
أزعم ويزعمون حقيقة أم لا؟. أما من حيث الجتلمانية فليست
جتلماناً ... !

- فضحكت وقلت: ولكنك فى أغلب كتاباتك تعلِّم القارىء
وتحضُّه على أن يكون جتلماناً. ؟

- فقال: وكم معلِّم فى الدنيا يتبع تعليماته!!

إلا أن قبا هنا أمرًا مهمًا يجب أن أقوله.

- فآلته: وما هو...؟

- أجاب: الإسلام شيء.. والمسلمون شيء آخر...
الإسلام حسنٌ، ولكن أين المسلمون..!؟

- قلت: إذن تعتقد أن المسلمين ليس لهم من الإسلام إلا
الاسم. وهل تقارن المسيحية كنظام اجتماعي بالإسلام..؟

- أجاب: كلا، ليس فيما أعرف من الأديان، نظامًا اجتماعيًا
صالحًا كالنظام الذي يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية...!!!
- قلت: ولكن هناك حركات تدل على أن المسلمين بدأوا
بستيقظون.

- قال: وأين هذا؟

- أجبت: في الشرق العربي.

- قال: هؤلاء جلُّهم من أصل عربي، وحركتهم جنسية أكثر
منها إسلامية؟!

- قلت: لا أظن ذلك.. ولكن ما رأيك؟

- أجاب: الإسلام لا يستيقظ إلا إذا عمل المسلمون بصفتهم
مسلمين فقط، وتجنَّبوا ما نسمة (الروح الوطنية) والغلو في
القومية.!!

- قلت: في أوروبا وأمريكا مبشرون إسلاميون، فما رأيك في
هؤلاء؟

- اجاب: لا شك فى أنهم يستحقون العطف، إذ اتنى لا أظن
أن المسلمين يقدرون التبشير بالإسلام كما يقدّر المسيحيون - على
اختلاف مذاهبهم - التبشير بالمسيحية، فليس للمسلمين جمعية
تبشير تضاهى أية جمعية تبشير لآى فرقة مسيحية. !!!

والذى قاله «برنارد شو» حق مائة فى المائة؛ فالمسلمون
شئ... بينما الإسلام شئ آخر يختلف عن المسلمين فى كل
شئ...!

والفارق كبير جداً بين جمعيات التبشير بالمسيحية وجمعيات
الدعوة إلى الإسلام؟



٣ اعترافات «هيلدا»

اسمى «هيلدا» . . لم أكن فى حياتى متدينة، بل كنت ملحدة غير مؤمنة، وكنت أسخر من كل شىء يتصل بالدين . . غير أنى راجعتُ نفسى يوماً . . فلما أدركت فداحة خطيئتي . . ووجدت أننى أسرفتُ فى تحطيم نفسى . . رحت أبحث عن الخالق الذى أنكرته . . !!

كنت أدعوه أن يرحمنى وينقذنى . . ولكن . . أين هو الله الذى تصوّره الكنيسة رحيماً ومحباً وعطوفاً . . ؟

ولماذا بترك ضعيفةً مثلى تواجه كلَّ هذه الكوارث دون أى تدخل منه لإنقاذى . . ؟ ثم لماذا لا أرى هذه الرحمة وهذا العطف فى رجال الكنيسة أنفسهم . . ؟

لقد تزوجتُ أربع مرات وفشلت . . أكثر من مليون مارك ضاعت على موائد الخمر . . !! ؟

وقد تحولتُ إلى بقايا إنسان يمشى على الأرض . .
وفجأةً رأيتُ يدَ الله تمتد إلى . . !!

كنتُ فى رحلة سياحية إلى القاهرة . . لقد صادفَ قيامى بهذه الرحلة قدوم شهر رمضان المقدس عند المسلمين . . وفى إحدى زياراتى لسوق خان الخليلي - الواقع بجوار مسجد الحسين - رأيت أروع منظر شاهدته العين . . !!!

رجال ونساء وأطفال وشيوخ وشبان يجلسون جميعاً في انتظار
مدفع الإفطار.

ما هذا الذي أراه.. ؟

إننا نقرا ونسمع كثيراً عن (صيامات) أخرى في بعض الأديان
.. لقد رأيت هذا في الهند .. وفي أقطار أخرى بأقصى الشرق
.. غير أنني لم أر مثل هذا المنظر .. ومثل هذا التأخر والورع
في وجوه الذين يتطلعون إلى المآذن في انتظار سماع كلمة (الله
أكبر)!!..

فأنا لا أتصور أن ينقطع إنسان عن الطعام والشراب هذه المدة
الطويلة وفي جو قاتظ شديد الحرارة كمدينة القاهرة..

لقد أدمنت الخمر حتى أنفقت كل مدخراتي عليها كما قلت
.. وقد خسرت بسبب ذلك أسرتي وزوجي بعد أربع مرات
وفشلت..!

فمن أين للمسلم هذه القوة التي يتصبر بها على هذه العاهات
والعلل.. ؟

إنه الإسلام..! كلمة واحدة نطق بها مرافقي المصري واسمه
(أحمد) والذي استأذنى بضع دقائق يؤدي فيها صلاة
المغرب..!!

إنه الإسلام ولكن أين ؟..

في صبيحة اليوم التالي كنت أتجه ومعي مرافقي (أحمد) إلى
إدارة الأزهر الشريف . . وفي مكتب الأمين العام للدعوة نطق
بالشهادتين وأصبحت منذ هذه اللحظة مسلمة يحرم عليها ارتكاب
الفُحْش أو شرب الخمر . . ؟

لقد تبدلت حياتي منذ ذلك اليوم . . لم أعد (هيلدا) الضائعة
في ظلمات الليل . . !!!

* * *

لم تكن الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحاً، حين رأيت فتاةً تقتحم باب المركز الإسلامى فى شارع الكومولث بمدينة سيدنى ..

لم تكن فتاةً عادية .. قامة شامخة .. وشخصية أسرة متحدية، وبالرغم من صغر سنها فقد كان والدها يقف بجوارها كتلميذ يطلب من معلمه الرحمة .. أو جندي ينتظر تعليمات قائده فى المعسكر أو الشكّة .. قالت:

اسمى (جودى) طالبة بالسنة النهائية فى المدرسة العالية بضاحية «ستراثفيلد»، أمّا والدها فاكفى بتقديم نفسه كموظف سابق فى جيش الخلاص الوطنى.

بعد كلمات المجاملة المعروفة قالت الأنسة: إننى فتاة حائرة لم أجد حتى الآن ما يطمئن إليه قلبى فى أى دين أو أية عقيدة. حتى الإسلام .. صورته فى عقلى مشوشة، وما أراه أو أقرأه ينفرنى منه ومن المسلمين فى أية دولة .. ! غير أن صديقة لوالدتى كانت قد شاركت فى إحدى ندواتك، فنقلت إلى والدتى صورة تختلف تماماً عما ينشر ويقال عن الإسلام هنا فى أستراليا .. لهذا جئت لأعرف منك الحقيقة ...

- ستجديني عند حسن ظنك. لكن ماذا عن والدك؟ اليس من اللائق أن نعرف رايه؟ إن مكانة «الوالدين» في الإسلام تأتي بعد الإيمان بالله ورُسُلُه .. وهنا كانت المفاجأة .. ! لقد اعترف المستر (دونالد) بأنه ملحد ..

فجاء دقّ جرس التليفون .. كان المتحدث على الطرف الآخر من الخط القس البروتستانتي (مارك)، كان يسألني عن حكم الإسلام في الانتحار، وبخاصة بعد هذه الضجة التي أثارها بعض علماء النفس والاجتماع على صفحات جريدة «سيدني مورننج هيرالد» بإباحة الانتحار، وتقدير حرية الاختيار للإنسان في الحياة أو الموت ..

قلت للأب (مارك): أعتقد أن نظرة الإسلام إلى هذه القضية لا تختلف كثيراً عن نظرة المسيحية؛ إن حياة الإنسان ليست ملكاً له .. حياته كلها: روحه، جسده، عقله، فكره .. وكل قطرة دم تجرى في عروقه أو ينبض بها قلبه، كلها ملكٌ لله خالقه .. ومن الطبيعي أنه لا يجوز لأى إنسان أن يتصرف فى ملك غيره إلا بإذنه، ولأن الله لم يخلق هذه الحياة عبثاً .. ولم يتركنا فيها سُدًى، فقد بعث الله الرسل وأنزل الكتب؛ ليبين للناس ما يجب عمله، وما يجب تركه، وليحصّن حياة هؤلاء الناس بالإيمان الذى يواجهون به الشدائد، ويضمدون به جراح المصائب.

إن الإيمان هو الروح التى تضبط سير الحياة فى هذا الكون، كما تضبط حركة الحياة داخل الإنسان الذى استخلفه الله فوق هذه

الأرض، فإذا ذهب الإيمانُ اضطربت حركة الحياة في هذا الكون، وسيطرَ الخوفُ والقلقُ على كل كائن حيٍّ.. ومن هنا يفكر بعض الناس في الانتحار أو الموت...!!



ما كدتُ أعيد سَماعة التليفون إلى مكانها حتى رأيت المسر (دونالد) قد انكفأ على نفسه وبدأ كشبح...! أما ابنته الآنسة (جودي) فقد تسلمت منى الإجابة على أسئلتها التي أصرَّت أن تكون مكتوبة حتى تعود إلى مراجعتها في البيت.. ثم انطلقت - ومعها والدها - فلم أعد أسمع عنها أي شيء..



بعد خمسة عشر يومًا بالضبط كنت أغادر القطار في المحطة الرئيسية بمدينة سيدني متجهًا إلى المسجد، وما كدتُ أضع قدمي على رصيف المحطة حتى فوجئت بالآنسة (جودي) ووالدها ينزلان من قطار آخر في الوقت نفسه. لكن المفاجأة الأكبر كانت فيما يحملان بين أيديهما من كتب.. لقد كانت الآنسة (جودي) تحمل معها كتاب (لماذا اخترنا الإسلام؟)، أما والدها فكان يحمل نسخة مختصرة لترجمة معاني القرآن...!!



إن المكالمة التليفونية التي وقعت مصادفةً مع القس (مارك) عن العلاقة بين الانتحار والإلحاد، قد ولّزت كيان الأب، والإجابة التي حملتها ابنته معها إلى البيت كانت قد أشعلت شرارة الإيمان في القلب، وما هو ذا المستر (دونالد) يعود في صورة أخرى تختلف عما كان عليه من قبل .. !!

لقد رجعت إليه الطمأنينة والسكينة، فعادت الحياة إليه في أبهى وأجمل صورة، ثم جلس وابنته يسألانني عن الصلاة، وكيف يؤديانها أفراداً أو في جماعة ..

إن «جودي» لم تعد متمردة، وإن أباه الملهّد لم يعد ملهّداً.



أقلمت بنا طائرة الخطوط الملكية الهولندية من مطار بومباي في الهند في طريقها إلى كولمبو، وإلى جاكارتا عاصمة إندونيسيا، كانت الساعة تقترب من الثامنة صباحاً حين أقبلت المضيضة، لتضع أمام مقعدي طعام إفطار ساخن تتصوغ رائحته بأفاويه الهند..!

وانتظرت المضيضة لتسألني عما إذا كنت أريد شيئاً آخر..

قلت لها مبتسماً: ارفعى هذا كله، وخذيه معك..!

كادت المضيضة تُصعق.. وارتنج عليها، فلم تنطق..!

ومن ثم.. لم يكن يدُّ من تعليل موقفي، الذي سبب لها كل هذا الانزعاج والخرج..

قلت للمضيضة كاترين:

«إننى صائم»..

قالت: إذن أحضر لك بعض الفاكهة..!

لم تكن تعرف المضيضة «كاترين» أننى مسلم.. وأن الصوم عند المسلمين يعنى الامتناع عن كل ما يؤكل أو يشرب.. وربما خطرَ ببالها أننى من «النباتيين» الذين لا يأكلون اللحوم، أو من المسيحيين الذين لا يأكلون اللحوم فى أيام الصوم.

قلت لها موضحاً:

- إن الصيام عندنا - نحن المسلمين - يعنى الامتناع عن تناول أى شئ يدخل الفم من أول ضوء من مطلع الفجر إلى آخر ضوء بعد غروب الشمس.

- ثم عادت تسأل: وهل المرأة تصوم مع الرجل طوال اليوم؟
 - أجل يا آنسة «كاترين»؛ فليس الإسلام أو الصيام خاصاً بالرجل دون المرأة، وليست العبادات وفقاً على الذكّر دون الأنثى؛
 إن المرأة والرجل سواء في كل عبادة، وفي كل عمل صالح يتَهَضُّ بالمجتمع والأسرة، وفي كل خير ينفع الناس في الدنيا والآخرة.
 قالت المضيفة: إننى أسمع هذا لأول مرة، لم أكن أعرف عن الإسلام هذه الصرامة في تهذيب النفس، أو هذه الشدة في تربيتهَا على هذا النحو.

قلت للآنسة «كاترين»:

- إن كل عبادات الإسلام تستهدف علاج هذه النفس، وتخليصها من كل مظاهر الضعف أو النقص.
 هناك الصلاة التي يؤديها المسلم أو المسلمة خمس مرات في اليوم...
 إن هذه الصلاة معراجٌ روحيٌّ يلتقى فيه المسلم بربه في مناجاة صادقة على مدى ساعات النهار أو الليل.
 وهناك الزكاة.. وهي انتزاعُ النفس من ظلمات الأثرة التي تهبط بالإنسان إلى درك وحش الغابة في الاقتناص والصيد.
 ثم الحجُّ وهو رحلةٌ إلى الله يتجرّد فيها المسلم من كل شيء؛
 لتعود نفسه - كما كانت - يوم مولده مُطَهَّرَةً من أى ذنب..!

* * *

وفجأة اختفت المضيفة تلبيةً لنداء صادر من قائد الطائرة، ثم عادت بعد حوالي خمس عشرة دقيقة لتسأل عن أى كتاب يفيدُها في التعرف على الإسلام عقائده وشعائره..

إن في حياتنا أسراراً يعجز عن فهمها جبابرة العقل .. وإلا
كيف نفسر أحداث هذا اللقاء في رحلة عابرة إلى أقصى الشرق؟
وكيف يكون معى الكتاب الذى تسأل عنه (المضيف) المتلهفة إلى
معرفة الحقيقة والحق ..؟؟

بعد عامين من هذا اللقاء .. تسلمت رسالة من «أمستردام»
AMESTRDAM، لم تكن رسالة بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة.
ولم تكن كلماتها حروفاً مرصوفة فوق ورقة .. كانت عباراتها
تشع نوراً وشفافية، لم أنتظر حتى أكمل الرسالة .. انتقلت بعينى
وأحاسيسى إلى توقيع المرسل فى النهاية .. إنها «كاترين» سابقاً ..
بعد أن أسلمت واختارت لنفسها اسم (فاطمة) ..!!
وعُدْتُ بذاكرتى إلى الوراء لأكثر من عشرين عاماً ..

كنت أجلسُ فى مدخل المركز الإسلامى بمدينة لندن .. دخلت
علينا فتاة تحمل فى يدها سلةً من الخبزُران الملوّن، كان اسم هذه
الفتاة (جيليان) GULIAN، وكانت مثل (كاترين) هولندية أيضاً،
وكما اختارت (كاترين) لنفسها اسم (فاطمة) فقد اختارت
«جيليان» لنفسها اسم (خديجة) ..!!

هل تعلمون ماذا تفعل فاطمة الآن ..؟ لقد شاءت أن تكون
مدرسةً لأطفال المسلمين بعد أن تركت وظيفتها السابقة .. أما
(خديجة) فتعمل أستاذة زائراً فى بعض جامعات أوروبا ..
لتدريس العقيدة الإسلامية ..!!



فهرست الموضوعات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٣ | ١- لماذا يخافون الإسلام ؟ قراءة في صحف الغرب |
| ٧ | ٢- جذور الكراهية |
| ١٥ | ٣- كيف قامت الحروب الصليبية |
| ٢٥ | ٤- كيننجر اليهودي |
| ٣٥ | ٥- أسوأ القرون في تاريخ الإسلام والمسلمين |
| ٤٥ | ٦- الخرافة الكبرى |
| ٥٣ | ٧- لكن لماذا يكرهون الإسلام |
| ٥٧ | ٨- لقاء في استانبول |
| ٦١ | ٩- الجهل بالتاريخ |
| ٦٩ | ١٠- الخطر الإسرائيلي |
| ٨١ | ١١- العصر الأمريكي القبيح |
| ٨٩ | ١٢- غارة تنصيرية جديدة على العالم الإسلامي |
| ١٠٧ | ١٣- رسالة من نيويورك |
| ١١٣ | ١٤- رسالة الأمير تشارلز |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|-------------------------------------|
| ١٢٣ | ١٥- كلمة حق |
| ١٢٥ | ١٦- الغرب فى طريقه إلى الموت |
| ١٣٥ | ١٧- الفراغ الروحى الذى يعيشه الغرب |
| ١٤٣ | ١٨- التحدى الحقيقى الذى يواجه الغرب |
| ١٤٩ | ١٩- مفاجأة فى ريجنت بارك |
| ١٥٣ | ٢٠- مجموعة كامبردج |
| ١٦١ | ٢١- شخصيات لا تنسى |
| ١٦١ | ١- مالكولم أक्स |
| ١٦٦ | ٢- الأخت مارجرى |
| ١٧٣ | ٣- اعترافات هيلدا |
| ١٧٦ | ٤- جودى الأسترالية |
| ١٨٠ | ٥- كاترين الهولندية |

رقم الايداع

٢٠٠٤ / ٨٣٤٨

الترقيم الدولى

977-241-572-0

I.S.B.N

